ثلاثة وعشرون عاما عشتها في جحيم صدام
مذكرات طبيب عراقي

الدكتور الطبيب فريد محمد صالح

طبيب استشاري في بريطانيا

مقدمه

ذكريات يرويها طبيب عراقي يعمل استشاريا في احدى مستشفيات لندن وهو ابن طبيب جراح معروف من أوائل الجراحين في العراق ومن الاساتذه الكبار في الجراحه.

غادر العراق في تسعينيات القرن الماضي بعد ان قضى فيه ثلاثين سنةً شهد فيها احداثا سياسيه مروعه من حكم استبدادي أدت الى اعتقاله في مديرية الامن العامة ثلاثين يوما دون ذنب. ويتحدث عما سبقها وتلاها من احداث وكيف جند للحرب في محرقة صدام وحروبه المجنونه وكيف نجا من الموت المحقق وهاجر العراق ليروي قصته المروعه وما شهده من احداث .

احداث الكتاب حقيقيه والاسماء التي ذكرت حقيقيه ذكرتها كما هي حفاظا على الامانه التاريخيه واسف ان كانت اراء وأفكار بعض القراء تختلف عن رايي فكل اراء الاخرين محترمه وان اختلفت مع رايي. تجنبت الاساءه الى أي شخص او جهه واكتفيت بالوصف بعيدا عن القذف او السبا ب الذي هو ليس من طبعي او أخلاقي.

اهداء الى والدي العزيز الجراح العظيم الدكتور المرحوم محمد صالح عبد المنعم
اهداء الى والدتي التي عانت مع والدي الظلم والشقاء في الحقبه الظلاميه الصداميه
اهداء الى كل الاحرار حتى لايعود الطغاة ليحكموا من جديد
اهداء الى كل اصحابي ممن سقطوا ضحية النظام البائد

السنة الأولى في الجامعة

في عام 1978 دخلت كلية الطب في جامعه بغداد بعد أن تفوقت في مدرستي الثانوية وحصلت على درجة 96٪ في البكالوريا. كان العراق يرزح تحت حكم حزب البعث العربي الذي اسسه ميشيل عفلق. وصل البعثيون للسلطة عام 1968 بعد انقلابهم على حكم عبد الرحمن عارف حينما تامر عليه اعوانه وعلى راسهم عبد الرزاق النايف رئيس استخباراته وإبراهيم الداود امر لواء حماية القصر الجمهوري. لكن سرعان ما انقلب البعثيون على الأخيرين حيث أطاح صدام بهما بعد اقل من أسبوعين على الانقلاب.

مع دخولي للجامعة بوقت قصير بذا الوضع السياسي في العراق بالتأزم مع بدء الثورة في الدولة الشيعية المجاورة إيران.

كانت العلاقات بين العراق وإيران قد تدهورت كثيرا بعد مجيء البعثيين للحكم بعد ان كانت قد تحسنت كثيرا أيام حكم عبد الرحمن عارف. أحد الأسباب كان يعود الى ان حزب البعث كان قوميا يؤمن بأفضلية العرب على باقي الاجناس كما كان صدام يريد السيطرة على الخليج وان يكون منافسا لشاه إيران وندا له.

كانت المناهج الدراسية تحرض ضد إيران وتعتبرها دولة محتله وتتهمها باغتصاب "عربستان" وهي محافظة خوزستان واغتصاب الجزر الثلاث طنب الكبرى وطنب الصغرى وأبو موسى من الامارات عام 1971.

عام 1975عقدت اتفاقية الجزائر وتصالح صدام مع الشاه مقابل تقديم صدام تنازلات للشاه لقاء وقف الشاه دعمه للمتمردين الاكراد.

في كلية الطب، تكتل الطلاب في مجموعات وفقا لانتماءاتهم السياسية أو الدينية او الطائفية.

كانت المجموعة الرئيسية هي مجموعة البعثيين التي كانت لها اليد العليا لأنها كانت جزءا من الحكومة البعثية التي كان يقودها في ذلك الوقت حزب البعث العربي الاشتراكي مع أحمد حسن البكر كرئيس جمهوريه وصدام حسين كنائب له. كلاهما كانا من السنة وكانا ينحدران من تكريت شمال بغداد. كان البعثيون

يسيطرون على جميع مؤسسات الدولة بضمنها الجامعات لأن حزب البعث كان الحزب الحاكم الأوحد في البلاد. كانت جميع الأحزاب الأخرى محظورة لذلك كان لديهم كل القدرة والإمكانية لجذب أعضاء جدد باستخدام أسلوب الجزرة والعصا (انضم إلينا واحصل على امتيازات، عادِنا وسنجعل حياتك جحيما).

كان رئيس الاتحاد اسمه زهير السامرائي وكان مسؤولاً عن لجان الاستقبال التي تستقبل الطلاب الجدد بغية كسبهم للحزب وكان يجتمع بالطلاب بين الحين والأخر للترويج لحزبه والتوعد لكل من يعاديه.

لجان الاستقبال كانت تتألف من الطلاب البعثيين من دورات أقدم منا مهمتها استقبالنا ومساعدتنا على التأقلم وفي نفس الوقت تحاول جذبنا الى حزب البعث.

كان مسؤول لجنة استقبالنا واسمه ثائر بعثياً من دورة تسبقنا بسنتين. لقد اوصاني اخي الشقيق اديب وكان طالبا في الهندسة الكهربائية ويكبرني بسنتين، ان ابتعد عن لجنة الاستقبال خشية ان يستخدموا ضغوطاً عليّ للدخول الى الحزب. فنأيت بنفسي عن لجنة الاستقبال. كانت في نفس المجموعة طالبه شيعيه شديدة التزمت اسمها كفاح الشديدي وقد فوجئت انها رفضت ان تصافح رئيس اللجنة ثائر حينما مد يده ليصافحها. كان موقفاً محرجاً لثائر لكنه كان طبيعيا لكفاح اذ ان مصافحة الرجال كان يعتبر من الكبائر لدى المتزمتات من النساء.

كانت المجموعة الثانية في الجامعة هي مجموعة طلاب الدين الشيعة المتدينين بعضهم كان معتدلا واخرون كانوا متطرفين وأعضاء في أحزاب دينية شيعية محظورة مثل حزب "الدعوة" الذي يعني الدعوة للإسلام بمذهبه الشيعي. كان من المتميزين في هذه المجموعة طالب اسمه وصفي عبد علي واخر اسمه سيد نبيل بالإضافة الى اخرين مثل سعيد باقر.

كانت المجموعة الثالثة من الطلاب هي مجموعة المتدينين السنة الذين كان بعضهم أعضاء في جماعة "الإخوان المسلمين" المحظورة، وكانت هذه أقل خطورةً على الحكومة لأن نيتهم لم تكن الإطاحة بنظام حزب البعث العلماني السنّي، عكس الأحزاب الدينية الشيعية التي كان هدفها الرئيسي هو الإطاحة بالحكومة العلمانية السنية واستبدالها بحكومة إسلامية شيعية تنفذ القوانين الإسلامية الشيعية في العراق. كان من أبرز أعضاء هذه المجموعة طالب اسمه عمار وجيه زين العابدين كان ابوه طبيبا معروفا بانه كان عضوا في جماعة

الاخوان المسلمين حيث جاء ذكره في كتاب الفه برزان التكريتي أخو صدام "اسمه محاولات اغتيال الرئيس صدام حسين".

كانت المجموعات الصغيرة الأخرى هي مجموعة الشيوعيين العراقيين والطلاب ذوي الميول اليسارية دون ان يكونوا اعضاءً في الحزب الشيوعي المحظور. كانت هذه المجموعة في وقتي أقل تهديدا للحكومة لان الحكومة كانت قد قمعتهم واعدمت قياداتهم واعتقلت اعضاءهم. ومع ذلك، كان هناك عدد قليل من الطلاب الذين اعتادوا المشي والجلوس معا، كانت هذه المجموعة تضم ذكورا واناثا عكس المجموعات الدينية الشيعية والسنيّه التي كان فيها الذكور لا يختلطون بالإناث لان ذلك محرم حسب عقيدتهم. وكان أحد الأعضاء البارزين فتاة تدعى سوزان التي تم العثور عليها في وقت لاحق خلال سنة الإقامة عام 1984 بعد تخرجها من الكلية في غرفتها في سكن الأطباء ميتة وزعم أنها انتحرت بعقار يسمى Phenergan ، على الرغم من أننا نشك في أن الحكومة وحزب البعث كان لهما يد في وفاتها. فقد كان استخدام السموم أحد وسائل الحكومة لتصفية معارضيها.

لم يكن لدي أي انتماءات سياسية أو دينية في ذلك الوقت، لكن في ظل هذه الانقسامات وجدت نفسي معزولا ما لم أصادق إحدى هذه الجماعات. كنت أنا وعائلتي نكره البعثيين بسبب جرائمهم وقمعهم. والدي كان جراحا معروفا. لم تكن له أي انتماءات سياسية لكنه كان حر التفكير ليبراليا علمانيا.

لقد سبق ان هاجم البعثيون بيتنا وانا صغير عام 1963 حيث قام مسلحون ممن سموا بالحرس القومي بمهاجمة دارنا وكان لدينا ضيوف ذلك اليوم. كانوا يبحثون عن شاب شيوعي اسمه عامر. لدى تفتيشهم البيت سرقوا ذهبا عائداً لامي. فتشوا المكتبة فصاح أحد الجنود لضابطه "لقيت الدليل، هذا كتاب مكتوب عليه اسم الشيوعية" صاح الضابط عليه" اسكت ياغبي هذا الكاتب ينتقد الشيوعية " لحسن الحظ ان الضابط كان مثقفا وعرف ان مؤلف الكتاب كان مناهضا للشيوعية والا لوقع اهلي في مشكله. ظلوا يصيحون في البيت "عامر عامر" لعل عامر هذا سيرد عليهم بشكل لاإرادي فيقول لهم "نعم" لما لم يجدوا عامر اخذوا احد الشباب من المدعوين واسمه محسن من اقاربنا. قالوا له "انت عامر" اجابهم " لا اسمي محسن" قالوا له " انت تكذب اسمك عامر" اخذوه معهم واعتقلوه فترة من الزمن وعرضوه للتعذيب وقالوا له "اعترف بانك عامر" وهو يصرخ من التعذيب ويجيبهم "لا ما انا عامر بل انا محسن". أطلقوا سراحه بعد فتره بعد ان ثبت لهم

انه ليس عامر الذي يريدونه. تبين ان الحرس القومي كانوا قد القوا القبض على شخص مشتبه في كونه شيوعيا وعذبوه حتى يدلهم على شيوعي قيادي اسمه عامر. اخذوه بالسيارة فاختار احد البيوت عشوائياً وقال لهم هذا بيت عامر. صادف ان اهل البيت كانوا ضيوفاً في بيتنا، اخبرتهم الخادمة انهم مدعوون عندنا وارشدتهم على بيتنا فتم اقتحام البيت وهم مدججون بالرشاشات. هكذا كان أسلوب البعثيين، اقتحام البيوت الأمنه وسرقة الأشياء الثمينة واعتقال الناس وارهابهم واجبارهم بالاعتراف على أنفسهم بأعمال لم يرتكبوها وتفتيش البيوت دون قانون ودون مذكرة تفتيش. لم يكن هناك قانون فالحفاظ على السلطة هو الأساس الذي يبنى عليه القانون والغاية تبرر الوسيلة.

كان البعثيون يحاولون جاهدين جذبي للانتماء إليهم فقد بدأوا منذ ان كنت طالبا في المتوسطة. كان يأتيني طالب بعثي كل سنة تقريبا يحاول كسبي للحزب. كانوا يركزون عليّ لأنني سأكون رصيدا كبيرا لهم بالنظر إلى تفوقي العلمي.

في الكلية كان هناك شاب يقود الشيعة ويحاول غسل ادمغتهم اسمه وصفي عبد علي من ضاحية الكاظمية الشيعية. أقنعني بالانضمام للصلاة في مسجد كلية الطب، الذي كان مسجدا سنيا، لكن الشيعة كانوا يصلون في الزاوية بينما احتل السنة المسجد الرئيسي. بدأوا في التبشير للدين وتدريجيا قاموا بجذب الطلاب أولا للدين ثم بعد ذلك للسياسة ومحاربة النظام. بدأت اشاركهم في الصلاة والجلوس معهم في المحاضرات ووجبات الغداء وأدرس معهم. كان لزاما عليّ الاستعانة بهم للتأقلم على الوضع الجديد في الكلية وكانوا يساعدونني في شرح بعض المواضيع وخصوصا التشريح الذي كان موضوعا صعبا يحتاج فيه الطالب مساعدة طلاب أقدم منه في الكلية. كنت استعين بطالب شيعي متزمت اسمه عبد الكريم أقدم مني بدورة وكذلك طالب اخر اسمه باقر يسبقني بأربع دورات. لكنني نايت بنفسي بعيدا عن السياسة.

الشيعة المتزمتون الآخرون الذين كان لهم تأثير سيء على الوافدين الجدد إلى كلية الطب كان شاب يدعى عامر سكن في المنصور بالقرب من بيتنا الذي عشت وسكنت فيه. كان في السنة الثانية في كلية الطب في ذلك الوقت، اي أنه كان قبلي بسنة واحدة في الكلية. كان شقيقه يدعى عصام في كلية الطب في السنة الخامسة. كان كلاهما يدعوان إلى التزمت الديني الشيعي وكانا يحرضان الطلاب الشيعة على مقارعة النظام البعثي. كان عامر يغتنم أي فرصة لمحاولة إعداد القادمين الجدد إلى كلية الطب وغسل أدمغتهم. في المنصور نفسها كان هناك

شباب شيعة متزمتون آخرون من مدارس او جامعات أخرى ينشرون التطرف الديني الشيعي بين الشباب. كان أحدهم شاب يدعى ماجد حمندي. وعلى الرغم من أنه لم يعلن بوضوح أنه كان عضوا في حزب شيعي متطرف محظور، إلا أن خطاباته ومواقفه تشير إلى أنه كان كذلك. كان هناك شاب آخر يدعى علي الحلّي واخر اسمه منتصر، اعتاد هؤلاء الأشخاص أن يأتوا كثيرا الى بيتنا ويطرقوا بابنا ويتحدثوا إلى أخي ويتناقشوا في الدين والسياسة. في العديد من المناسبات حاولت ابعادهم من خلال الادعاء بأن أخي ليس في المنزل لكنهم يعودون مرة أخرى وأخرى وكان من الواضح جدا أنه كان لديهم دوافع سياسية لأفعالهم. تم ترحيل عامر وعلي الحلي في وقت لاحق إلى إيران بتهمة انهما من كانا من التبعية الإيرانية. لست متأكدا من مصير ماجد، لكنني أظن أنه ربما أعدم لاحقا من قبل النظام. عصام من ناحية أخرى اعدمه النظام لاحقا كما سمعنا حيث اتهم بانتمائه لحزب الدعوة الإسلامي الشيعي.

كان هناك طالب اخر شيعي متزمت في السنة الخامسة في كلية الطب وكان اسمه باقر صادق، كان ذكيا جدا في الكلية وكان لديه أيضا شقيقان يتمتعان بمستوى أكاديمي عالٍ. رغم تفوقه العلمي الا ان الأخ الأصغر "علي" قرر الالتحاق بالمدرسة الدينية في النجف المسماة كلية الفقه بينما ذهب الأخ الأوسط واسمه محمد إلى كلية الهندسة المدنية.

في فبراير 1979 تصاعدت الأحداث بسرعة مع نجاح الثورة الإسلامية الشيعية في إيران في الإطاحة بالشاه وإقامة نظام إسلامي شيعي بقيادة رجل الدين الشيعي آية الله الخميني.

كان هذا حدثا سارّاً للجماعات الشيعية المتطرفة التي رأت في ذلك إمكانية للإطاحة بالحكومة العراقية السنية وإقامة دولتهم الشيعية الإسلامية في العراق. لقد كان الطلاب الشيعة المتزمتون يهنئ بعضهم البعض على نجاح الثورة. البعض قال ان الخميني قد يكون هو صاحب الزمان او المهدي المنتظر. طالب اخر اسمه رياض كان يؤم الطلاب الشيعة في مسجد الكلية جاء بحديث نسبه الى جعفر الصادق وهو احد أئمة الشيعة الاثني عشر ادعى انه تنبأ بخروج رجل في قم وكأنّ جعفر الصادق تنبا بثورة الخميني قبل 1400 عاما من مجيئه. هكذا كان اسلوب بعض المتدينين انهم لا يتورعون عن الكذب والتلفيق للترويج لأفكارهم.

بعد أن أنهيت السنة الأولى في كلية الطب وفي العطلة الصيفية وتحديداً في 16 يوليو 1979 أجبر صدام الرئيس البكر على الاستقالة من السلطة وتولى منصبه دون استشارة رفاقه في حزب البعث الذين اعترض الكثير منهم توليه السلطة دون انتخابات داخل الحزب. ونتيجة لذلك، طلب صدام من جميع البعثيين الانضمام إلى قاعة كبيرة في بغداد وهي قاعة الخلد التي كانت مسرحا ودار سينما كنا نذهب اليها ونحن صغار. ادعى أن بعض رفاقه تآمروا مع الرئيس البعثي السوري، حافظ الأسد للإطاحة بالنظام في العراق والاتيان بالرئيس السوري لحكم العراق. كان هناك مشروع وحده بين العراق وسوريا حيث ان حزب البعث كان من شعاراته توحيد الامه العربية لتصبح امه واحده قوية. كان شعارهم الذي طالما كانوا يطبلون له هو "امه عربيه واحده ذات رسالة خالده". كان حافظ الأسد بعثيا أيضا ويؤمن بنفس مبادئ حزب البعث في العراق.

نحن نعلم أن المؤامرة المزعومة كانت كلها أكاذيب، وكانت نية صدام هي التخلص من كبار الرفاق البعثيين الذين كانوا سيتنافسون معه على السلطة. أراد صدام فرض نفسه كحاكم مستبد للعراق. أعدم جميع الرفاق الذين اعترضوا على تنصيب نفسه رئيسا دون تصويت داخل الحزب. لقد كان ممن أعدمهم رفاقه البعثيين عدنان الحمداني ومحمد محجوب الدوري وزير التربية ومحمد عايش وزير الصناعة وعبد الخالق السامرائي ومرتضى سعيد عبد الباقي واخوه كردي ومحي حسين المشهدي وغانم عبد الجليل وبدن فاضل واللواء الركن وليد محمود سيرت واخرون. يقال ان صدام اجبر رفاقه الموالين له بان يطلقوا الرصاص على رفاقهم الذين أراد تصفيتهم رغم كونهم جميعا رفاقا في نفس الحزب. عرضوا شريطا وزعوه على البعثيين يظهر فيه صدام يقدم محي حسين المشهدي وهو يتحدث عن المؤامرة المزعومة ثم يعترف على من اشترك معه في المؤامرة ثم ينادي صدام عليه ويطلب منه ترديد شعار الحزب ويأخذه رجال الامن خارج القاعة.

أول ما فعله صدام بعد مجيئه للسلطة هو قمع الشيعة في العراق لأنهم كانوا يشكلون تهديدا له نظرا لأن الشيعة كانوا يشكلون حوالي 60٪ من سكان العراق الذين شعروا بأنهم مضطهدون دائما وانهم حرموا من حقهم في حكم البلاد التي كان يحكمها السنة دائما منذ انسحاب بريطانيا الاستعمارية من العراق في عام 1921.

في صيف عام 1979 أعدم صدام 4 رجال دين شيعة أحدهم يدعى عبد الجبار البصري الذي أعدم شقيقه سابقا الشيخ عارف البصري في عام 1974 بزعم المشاركة في تأسيس حزب شيعي سياسي وهو حزب الدعوة الذي كان هدفه الرئيسي هو إسقاط نظام البعث العلماني السني وإقامة حكومة دينية شيعية في العراق. كان عبد الجبار البصري يؤم صلاة الجمعة ويلقي خطبة الجمعة في مسجد الطوبجي (حي السلام). كنت احضر خطبه وصلواته عدة مرات أيام الجمعة. كانت خطبه دينيه ولم اجد فيها أي كلام سياسي.

الفصل الثاني

السنة الثانية في الجامعة.

بدأت التوترات السياسية في التصاعد. بدأ الشيعة في الانتفاضة ضد نظام صدام حسين. لقد كان وصول الإسلاميين المتشددين في إيران دافعا لهم للثورة على البعثيين.

كان المرجع الأعلى للشيعة السيد أبو القاسم الخوئي رجل دين بحت لم يتدخل في السياسة ولم يرغب في توريط الشيعة والتسبب في سفك دماء على عكس المرجع الذي سبقه السيد محسن الحكيم الذي كان طالما يقحم نفسه بالسياسة ويقارع الحكومات السابقة ولاسيما حكم الزعيم عبد الكريم قاسم الوطني وعبد السلام عارف والبكر. يروى ان الفتوى التي افتاها محسن الحكيم بان الشيوعية كفر والحاد هي التي رجحت كفة البعثيين واوصلتهم الى سدة الحكم بعد التغلب على منافسيهم الشيوعيين أيام حكم الزعيم عبد الكريم قاسم.

برز رجل دين شيعي اسمه محمد باقر الصدر واراد ان ينافس الخوئي على مرجعية الشيعة. حاول ربط الدين بالسياسة. فأسس حزب الدعوة واصدر كتاب "فلسفتنا" و"اقتصادنا" طرح فيه الاقتصاد الإسلامي كبديل عن الاقتصاد الشيوعي كما اصدر كتابا اخر اسمه "البنك اللاربوي في الإسلام" طرح فيه فكرة استبدال البنوك الحكومية التي تعطي فوائد لأصحاب الودائع وتفرض فوائد على القروض ببنوك اسلاميه لا تعطي او تفرض فوائد لان ذلك يعتبر ربا في الشرع الإسلامي. كان يمهد بكتبه وافكاره هذه تغيير سياسة واقتصاد البلد العلمانية بسياسه واقتصاد إسلامي ويمهد لإقامة دوله دستورها إسلامي بحت.

بدأ الصدر بالتنديد علنا بنظام البعث بقيادة صدام. وهذا العام أصدر فتوىً يحرم فيها الانتماء الى حزب البعث. وصلت هذه الفتوى إلى آذان ومسامع رئيس النظام فقرر صدام مواجهة محمد باقر الصدر لحثه على التوقف عن معاداة نظامه والتدخل في السياسة، لكن الصدر رفض وقرر الاستمرار في مواجهة النظام.
لقد ايد الصدر بشكل علني الثورة الإسلامية في إيران وأعلن مساندته للخميني في اشرطة وزعها سراً على المتدينين الشيعة. في يوم كنت استمع الى إذاعة "الثورة الإسلامية في طهران" اتصلت الإذاعة به وأعلن صراحةً دون خوف انه يؤيد الخميني وثورته. لقد كان ذلك تصرفا طائشاً من الإيرانيين ان يتصلوا به هاتفياً وعلى الهواء.

حوالي نهاية عام 1979 تم القبض على محمد باقر الصدر بعد رفضه الانصياع لأوامر صدام. أدى ذلك إلى احتجاج الشيعة وتظاهرهم ضد النظام في الكاظمية في بغداد وفي جميع مدن الجنوب التي تقطنها اكثرية شيعية. قوبلت هذه الاحتجاجات بالقمع وكان كثير من الشباب الشيعة حاضرين في التظاهرات السلمية. تصدت قوات الامن وهي الشرطة السرية لنظام صدام المعنية بمكافحة المعارضين للنظام داخل البلد، للمتظاهرين الذين كانوا يهتفون "بالروح بالدم نفديك يا امام" ويقصدون بذلك "الامام محمد باقر الصدر". كانت قوات الامن تحوط المظاهرة وتقوم بالتقاط صور للمتظاهرين في البداية حتى يتعرفوا على كل المشاركين في المظاهرة ولايفلت منهم أحد.

كان بعض المتظاهرين قد وضعوا لثاما على وجوههم حتى لا يتم التعرف هوياتهم. بعد إتمام التقاط الصور تقوم قوى الامن بإطلاق الرصاص في الهواء لتفريقهم. وتقوم باعتقال أي شخص يفر من المظاهرة. بعد ذلك يطلقون الرصاص الحي على المتظاهرين الذين لم يفروا. يتم اقتياد المعتقلين الى مراكز او مديريات الامن ويتم تعذيبهم للاعتراف على من حرضهم للتظاهر ويتم الاستعانة بالصور للقبض على من فر من المظاهرة.

نتيجة لتلك المظاهرات أطلق النظام سراح محمد باقر الصدر من الحجز ووضعه قيد الإقامة الجبرية في بيته بالنجف. ومنذ ذلك الحين، بدأ النظام بقمع الشيعة بشراسة. بدأوا في اعتقال وإعدام العديد من شباب الشيعة. تم القبض على أحد أفضل اصدقائي في الصف ويدعى ماجد صادق في مقر الامن العامة المسمى بالقصر الأبيض في بغداد، وتم إطلاق سراحه بعد شهر واحد وقد أخبرني عن

قصته داخل ذلك المكان الأكثر رعبا حيث كانوا يعذبونهم ليلا حتى يحرموهم من النوم ويكون التعذيب اشد تأثيرا اما في النهار فكانوا يعطونهم غداءً يحتوي على الشلغم ليعطيهم طاقة لما ينتظرهم من تعذيب ليلا.

أخبرني المرحوم ماجد ان السجناء استبدلوا اغنيه كان بعض المتملقين من المغنيين العراقيين قد غنوها لرئيس النظام اسمها "ريسنا غالي" باغنيه ساخره تشرح وضعهم في المعتقل فكانوا يتغنون:
شعبنا واعي وعارف طريقه بيده الكلبجه (القيد) ومشدوده عينه
صومي وصلاتي هي تهمتي ولان اني شيعي كسروا ركبتي (رقبتي)
شلغم غدانه وصوندە عشانه والليل اجانه تعليك اجانه

والصوندە تعني خرطوم الماء المطاطي الذي كان رجال الامن يستخدمونه في ضرب المعتقلين اثناء التعذيب واحيانا يحشونه بقضيب حديدي ليكون اكثر اذىً.

بعد إطلاق سراحه بحوالي سنه ألقي القبض عليه مرة أخرى من قبل قوى الامن ولم يره أحد بعد ذلك. عرفنا بعد ان النظام لابد ان يكون قد أعدمه ودفنه في مكان لا يعرفه احد وربما انتهى به المطاف في احد المقابر الجماعية التي اكتشفت لاحقا بعد سقوط نظام صدام عام 2003. كان ماجد شابا طيبا في غاية الطيب كان يحبه جميع الطلاب الذين عرفوه لأنه كان مسالما وخدوماً. كان في غاية الهدوء ولم ارَه يوما غاضبا او عصبيا وكان شديد التواضع لا يحمل ضغينة على احد بمن فيهم البعثيين. كان يساعد جميع من يطلب منه المساعدة. كان متفوقا في دراسته في الكلية حيث حصل على درجة 75٪ في مادة التشريح وهي درجه عالية وصعبة الحصول نظرا لصعوبة المادة. قالوا لي ان اباه كان معترضا على تدينه الشديد وطلب منه الا يجرّ اخوانه الصغار للتزمت الديني حفاظا على حياتهم. فاستجاب لكلام والده ولم يؤثر على اخوته.

بعد اعتقاله ثاني مره كان معارفه يسألون اباه عن مصيره، ولكن اباه من شدة خوفه من بطش النظام به وعائلته كان يجيبهم بانه ليس له ولد اسمه ماجد. لا يستطيع احد ان يلوم الاب على ما يقوله فقد ادرك الاب ان محاولة استعادة ولده مستحيلة وان عليه ان ينقذ ابناءه الاخرين.

اذكر ان احدى الطالبات من مجموعتنا واسمها سهى سألتني عن ماجد حيث ذكرت لي أني صديقه وربما اعرف ما حصل له فأصابني الخوف واجبتها "لم

يكن ماجد صديقي ولا اعرف ما جرى له". علّمنا النظام الاستبدادي ان نكون حذرين من جميع الناس بما في ذلك الأقارب. كنت اتخوف ان يقوم أحد الطلاب البعثيين بكتابة تقرير يقول فيه أنى كنت صديقه فيقومون باعتقالي والتحقيق معي خشية ان أكون متورطا معه في حزب شيعي متطرف.

. أعتقل صديقي باقر صادق وحكم عليه بالسجن المؤبد أولا ثم أعدم لاحقا عام 1981 بقرار رجعي وفق احكام محكمة الثوره فقره 156 أ. هذا القرار ينص على الحكم بالإعدام على كل من انتمى الى حزب الدعوة او روج لأفكاره او سهل مهمته ويطبق بأثر رجعي أي ان أي شخص حكم عليه بالسجن المؤبد قبل صدور هذا القرار يرسل عليه من السجن الى محكمة الثورة ويحاكم بالإعدام. وهذا ما انطبق على صديقي باقر. كان باقر في زيارة لأصدقاء له في منطقة المنصور شارع الاميرات وكانوا ثلاثة من الشبان المثقفين من عائلة لعيبي أحدهم اسمه غسان وهو الأكبر ومحمد وعلي. كان اثنان منهم مهندسين والثالث كان طبيباً. أعدم اثنان منهما وسجن الثالث وبعد فترة بعثوا على السجين وحكموه بالإعدام بقرار رجعي.

امهم كانت مدرّسة في الثانوية وقد منعت الحكومة اهلهم من إقامة مراسم العزاء او الفاتحة عليهم الا ان بعض المدرّسات من المدرسة قاموا بزيارة زميلتهم لمواساتها ولما علمت الحكومة بهذه الزيارة تم فصل المدرّسات من المدرسة.

من المصادفات انني كنت أزور باقر بين الحين والأخر كونه صديق وفي نفس الكلية التي كنت اداوم فيها وفي يوم طرقت الباب فخرجت اخته مذعورةً وسألتها "هل باقر موجود؟" فقالت وهي خائفة" لا ليس هنا" عرفت ان شيئا ما قد حدث فذهبت الى صديق اخر في المنصور اسمه محمد وكان صديقا تعرفت عليه عن طريق فريق كرة القدم وسألته عن باقر فقال لي انه اعتقل. قلت له "لقد ذهبت الى بيته اسال عنه ولم أكن اعلم انه قد اعتقل " فقال لي محمد بغضب " كيف تذهب الى بيته؟ الم تعلم انه قد اعتقل وان الامن ربما يكونون يراقبون البيت وربما يكونون قد نصبوا كمينا ليقبضوا على جميع أصدقائه ممن يأتون للسؤال عنه" قلت له " الحمد لله لم يكن في بيته رجال امن واحمد الله على ذلك" بعدها قررت التوقف عن زيارة المتدينين خشية ان يقبض عليهم ويتم نصب كمين للإيقاع بأصدقائهم.

بعد فتره اعتقل محمد وعائلته كان اخوه حسين في كلية الهندسة وكان له اخ طبيب اسمه سمير واخت في كلية الطب. كانوا جميعا من الشيعة المتدينين. حيث داهم الامن بيتهم واعتقلوهم جميعا من الطفل الصغير ذي الست سنوات الى العجوز ذات الثمانين عاما. ونصبوا كمينا في بيتهم للإيقاع بأصدقائهم.

حسب ما سمعنا عن سبب اعتقالهم ان صدام قام بزيارة خاطفه لبيتهم حيث كان من عادته زيارة بعض العوائل العراقية بشكل عشوائي لزيادة شعبيته بين الناس. لاحظ صدام ان هذه العائلة لم تستقبله بحفاوة مثل باقي العوائل التي كان يزورها. لم يجد قي بيتهم صورته معلقة في أي مكان. لقد كان أكثر المتملقين يضعون صور "القائد" على جدران بيوتهم. أصاب صدام الشك في انهم معادون له فدبر لهم مكيده. قال لهم سأبعث لكم اثاثا وكراسي" قنفات او كنبات" جديده مكرمه من القائد. بعد يوم جلب رجال الامن او حماية صدام اثاثا جديداً. في اليوم التالي جاؤوا إليهم وقالوا لهم ان الأثاث هذا لم يكن لهم انما لعائله أخرى واسترجعوا الأثاث منهم. لم تعلم العائلة ان الأثاث كان يحتوي على أجهزة تسجيل ولاقطات وقد سجلوا كلامهم وهم يسبون صدام وزيارته المشؤومة لهم. علمت فيما بعد انهم أعدموا جميع افراد العائلة باستثناء طفلين أطلق سراحهما بعد ذلك وربما سفرا الى إيران. لم يريدوا إبقاء أي شخص معادي لصدام في العراق بما في ذلك الطفل الذي ربما يصبح معاديا له في الكبر.

الفصل الثالث

حادثة جامعة المستنصرية

في أبريل 1980 وبينما كنا في الجامعة قيل لنا إن هناك محاولة لاغتيال وزير خارجية صدام "طارق عزيز" وهو وزير مسيحي مقرب جدا من صدام، في الجامعة المستنصرية. وزعم أن طالبا شيعيا من أصل ايراني يدعى مير غلام علي ألقى عليه قنبلة يدوية. وقد نجا الوزير من المحاولة، ولكن العديد من الطلاب إما قتلوا أو جرحوا خلال محاولة الاغتيال هذه. اذكر انه كانت هناك طالبه بعثيه اسمها اتحاد صالح مهدي عماش قامت بالصراخ والعويل وسط الكلية وتقول "هؤلاء المجرمون يقتلون الطلاب الأبرياء" كانت تصيح وتصرخ وسط الكلية لأثارة المشاعر والتحريض ضد الشيعة المتطرفين.
الغريب في الامر ان هذه الطالبة كانت بنت صالح مهدي عماش الذي شغل منصب نائب رئيس الجمهورية عام 1970 ثم جرده صدام من كل مناصبه ونفاه

خارج البلاد كسفير في باريس ثم فنلندة حتى مات. لكن ذلك لم يمنع الطالبة اتحاد ان تعلن كل الولاء لمن نفى والدها من بلده. كانت هذه الطالبة اتحاد كثيرا ما تستدعي الطلاب المستقلين الى غرفة اتحاد الطلبة وتهددهم وتتوعدهم وتثير في قلوبهم والرعب.

ادعت الحكومة انها عثرت في بيت هذا الطالب على كتب دينيه لحزب الدعوة ومن المضحك انهم عرضوا في الجرائد والتلفزيون كتابا ادعوا انه وجدوه في بيته اسمه "العلم يدعو للأيمان" للمؤلف الأمريكي الجنسية كريسي موريسون يدعو فيه الى الايمان بوجود خالق بغض النظر عن الدين وارادوا اقناع البسطاء من الناس انه كتاب يدعو الى التطرف الاسلامي الشيعي السياسي علما ان الكتاب لم يكن سياسيا، بل لم يكن إسلاميا أصلا. يا للأسف كان بعض الناس يصدق كل ما تكتبه الجرائد التي تنطق بلسان النظام الحاكم.

في اليوم التالي واثناء تشييع ضحايا حادث المستنصرية ألقيت قنبلة على المشيعين اثناء مرورهم قرب مدرسه إيرانية قديمة مهجورة. عرفت ان هذا العمل كان مدبرا من نظام صدام. جاء صدام الى المستنصرية وقال انه سيثار لكل قطرة دم اريقت على ارض الجامعة المستنصرية. كان هذا نذير شؤم، إذا كانت محاولة اغتيال طارق عزيز من فعل الشيعة المتطرفين فالحادث الثاني مدبر من القيادة البعثية لتصفية الأحزاب الشيعية وقمع الشيعة وإيجاد مبرر لشن حرب على إيران. وبالفعل ونتيجة لهذا الحادث، قررت الحكومة اعتقال أكبر عدد ممكن من الشباب الشيعة وترحيل جميع العائلات الشيعية التي كانت من أصل ايراني إلى إيران ومصادرة ممتلكاتهم. تم سجن العديد من زملائي في الجامعة ورحل اخرون إلى إيران. أتذكر طالبا من صفي يدعى سعيد باقر وآخر يدعى سيد نبيل وثالث يدعى فاضل عبد الحسين وطالبه اسمها كريمة من العمارة تم ترحيلهم إلى إيران مع عائلاتهم. اخت سعيد باقر كانت معنا في الكلية زوّجها أهلها من شخص عربي الأصل او ما يسمى عثماني الجنسية حتى لا يتم تسفيرها. لأول مره سمعنا ان هناك نوعين من شهادة الجنسية العراقية تبعيه عثمانية وهؤلاء عرب اصليون أبا عن جد وتبعيه إيرانية وهؤلاء اما من اصل إيراني او ان اجدادهم سجلوا انفسهم على انهم تبعيه إيرانية أيام الحكم العثماني حتى يتهربوا من الخدمة العسكرية أيام العثمانيين حيث كان العثمانيون يجندون العرب فقط في جيشهم دون الفرس.

حادثة المستنصرية هذه جعلت الحكومة تكثف من إجراءاتها القمعية فقد أدركت ان خطر الأحزاب الشيعية المتطرفة وصل الى درجة يهدد بقاء البعثيين في الحكم.

لم يتهاون النظام عن اعتقال او اعدام أي من يشتبه في ولائه للنظام من الشيعة. أعدم شباب شيعه على الشبهات فقط. كثير منهم لم يكونوا أصلا متدينين او متزمتين وكثير منهم كانوا منتمين لحزب البعث أي بعثيين بدرجة مؤيد او نصير او نصير متقدم او حتى أعضاء فرق او شعب. لم يعطِ الانتماء لحزب البعث حصانه للشخص من العقاب فقد رأينا كيف أعدم صدام رفاقه ممن كانوا أقدم منه في الحزب.

تم تشديد الحراسات على الجامعات. لا يدخل طالب او طالبه الا ويتم تفتيشه يدويا من قبل طلاب الاتحاد البعثيين.

تم إعدام أحد أقاربي الأبعدين اسمه جلال البيرماني الذي كان صديقا لإخوتي الأكبر سنا مني وكان صيدليا متخرجا حديثا لا يتجاوز عمره 24 سنه، بعد تعرضه للتعذيب الشديد. وكان عضوا نشطا في حزب الدعوة الشيعي المتطرف. تعرفت على جلال عن طريق اخوتي اديب وسعد. كان اخو جلال واسمه بهاء لاعب كرة قدم جيد وقد شكل فريقا لكرة القدم ضم شبابا شيعة متدينين. كنت العب معهم ولم اعلم ان لديهم ميول سياسية كنت اظنهم متدينين فقط وهواة رياضة. تبين ان كرة القدم كانت طريقه لاستمالة الشباب للدين والسياسة. كانت هناك فرق رياضيه أخرى وأكثرها كانت تجمعات سياسية ودينيه وأخرى كانت فرق محليه تجمع شباب المنطقة باختلاف ميولهم.
كنا نلعب في ساحة لسباق الخيل سابقا تسمى الريسز (Races) وفي يوم جاء رجل امن وامرنا ان نتوقف عن اللعب ونتفرق. عرفت ان الامن بدا يشك في ان التجمعات الرياضية أصبحت مركز استقطاب للشيعة المتدينين وأحزاب أخرى وخشي من خطورتها فمنع أي تجمعات رياضيه الا تحت اشراف حزب البعث.

كان هناك مركز رياضي واحد في المنصور اسمه نادي الكرخ الرياضي وكان الانتماء اليه مشروطا بان يكون الشخص عضوا في حزب البعث.

حتى في الكلية الطبية كان هناك فريق للتايكواندو انضم اليه في البداية بعض الطلبة المستقلين، ولكن بعد فتره بدا الطلاب الشيعة المتدينون بالانضمام اليه

للتدريب فاحس البعثيون بذلك فاخذوا بمنع هؤلاء الشيعة المتدينين من التدريب خشية ان يستخدموه كسلاح للدفاع عن انفسهم ضد رجال الامن في حالة تم اعتقالهم. هكذا أخبرني صديقي علي صالح الذي كان احد المتدربين في الفريق.

بعد محاولة اغتيال طارق عزيز المزعومة، وفي نفس شهر ابريل عام 1980 قرر صدام إعدام محمد باقر الصدر. تم نقله من منزله في النجف مع أخته أمنه التي أطلقت على نفسها اسم "بنت الهدى". وزعم أن اخا صدام "برزان" أحرق لحيته بولاعة سجائر وقتله هو وأخته التي أجبرت على الرقص عارية قبل الاعتداء عليها وقتلها.

يقال ان الحكومة أطلقت شائعه مفادها ان محمد باقر الصدر واخته أعدمهما النظام وذلك قبل ان يتم اعدامهما فعلا. أراد النظام معرفة ردة فعل الشيعة على هذا الفعل. انطلقت مظاهره واحده في الكاظمية قمعت بشده. لم تخرج المحافظات الشيعية باي مظاهره لان الرعب قد ملأ قلوبهم. بعد أسبوع عندما اطمأن صدام ان الشيعة لم يتظاهروا أقدم فعلاً على اعدامهما بعد ان أدرك ان رد فعل الشيعة لن يكون له أي تأثير.

اذكر تلك الليلة ان اخي غير الشقيق سعد وكان طبيبا ومن الشيعة المتزمتين دينياً، جاء الى بيتنا ليلا في ليلة شديدة البرد وتحدث معي سرا وقال "لقد اعدم النظام محمد باقر الصدر مع اخته". كان غاضبا وحزينا بشده قال لي "لا يجوز السكوت على هذه الجريمة" ثم تحدث الى اخي الشقيق اديب سرا دون ان يعلم ابي ما هو سر هذه الزيارة الخاطفة وما دار بين اديب وسعد من كلام. تحدثت الى اديب وقلت له لا تقدم على اي عمل متهور. كل ما نستطيع هو ان نسأل الله له الرحمة. كان اديب غاضبا ولم يعر أي اهتمام لكلامي وقال ان الأوان لأسقاط النظام. قلت له اهدأ يا أخي فصدام رجل مجرم لا يعرف الرحمة لسنا نداً له اتركه لرب العباد لينتقم منه.

عندما تصاعد الضغط على الشيعة المتدينين قررت التوقف عن الذهاب إلى مسجد الجامعة حيث بدأ الطلاب البعثيون في فرض الرقابة على المصلين الشيعة. قام ما سمّي "الاتحاد الوطني لطلبة العراق" الذي كان يسيطر عليه حزب البعث بمراقبة الشيعة داخل الكلية وحتى في محيطها بما في ذلك مسجد الكلية. أخبرني أحد أصدقائي البعثيين الشيعة ويدعى مؤيد البلداوي الذي كان عضوا في حزب البعث ولكنه كان متعاطفا مع المتدينين الشيعة، أن طالبا بعثيا شيعيا آخر

يدعى عبد الكاظم المسعودي طلب منه الانضمام إليه للصلاة في مسجد الكلية وقال له انه مكلف من الحزب بكتابة أسماء الطلاب الشيعة الذين يصلّون في المسجد وسيتم رفع الأسماء إلى اتحاد الطلاب وسيتم وضع الطلاب تحت المراقبة. عبد الكاظم الذي صادف أنه من مدينة كربلاء كان انتهازيا ولم يتردد في إبلاغ حزب البعث عن زملائه الشيعة إذا اشتبه في أنهم غير موالين للنظام البعثي. سيواجه هؤلاء الطلاب الاعتقال أو حتى الإعدام. في المقابل سيكافئه النظام البعثي ويحصل على امتيازات في الحزب.

اما مؤيد البلداوي الذي كان من مدينة بلد في شمال بغداد فكان طيب القلب ولم يهن له ان أوضع تحت المراقبة او اعتقل بسبب صلاتي في الجامع فطلب مني ان اتوقف عن الصلاة في الجامع والصلاة في البيت عوضاً عن ذلك حرصا منه عليّ. بعد سماع ذلك توقفت من الصلاة في الجامع وبدأت في الصلاة في البيت قضاءً بعد العودة من الكلية. بعد ذلك بفترة جمعت جميع الصلوات وصليتها في الظلام ليلا حتى لا يراني أحد في الشارع وانا أصلي في غرفتي ثم تدريجيا أصبحت أصلي بشكل متقطع حتى تركت الصلاة بعد سنة تقريبا من ذلك ولم اعد اليها ابداً. لقد أدركت بعد اعدام أصدقائي المصلين ان الصلاة لم تنفعهم او تمنع عنهم الأذى فلماذا امارس عملاً لا ينفع بل قد يكون فيه ضرر؟

اذكر ان طالبا سنيا بعثيا اسمه محمد عبد الملك وكان متعاطفا معي رغم كونه بعثيا فقد طلب مني يوما ان احلق لحيتي بالموس بعد ان كنت اتركها نابتة بعض الشيء بناء على تعليمات اخي المتزمت اديب الذي كان يعتبر حلق اللحية بالموس حراما حسبما أخبره المعممون وهذا ما يدل على سذاجة عقلية المتزمتين. عندما سألته عن السبب قال ان البعثيين يكتبون تقارير عن كل من يطلق لحيته ويتهمونه بالتطرف الديني. قال لي انه حرصا عليّ طلب مني ذلك والا لو لم يكن حريصا لكان قد كتب تقريرا للحزب بشأني.

كانت كتابة التقارير عملا مطلوبا من كل بعثي حيث يكون من واجبهم كتابة التقارير عن كل من يشكون في موالاته للنظام حتى ان كانوا اقرباءهم او إخوانهم او ازواجهم. ذهب الكثير من الناس الى السجون او المشانق بسبب تقارير البعثيين، خصوصا اذا كان التقرير موثقا بتسجيل صوتي. كان بعض البعثيين يحملون مسجلات صوتيه في جيوبهم او في أي مكان مخفي ثم يحاولون استدراج الاخرين لانتقاد النظام ورئيسه ثم يقدمون شريط التسجيل "الكاسيت" الى الامن مع تقرير ويتم اعتقال الشخص والتحقيق معه ويحال الى محكمة

الثورة ويسجن او يعدم بحسب التهمه. ان كان الشخص قد انتقد صدام فحكمه الإعدام حسب فقره أصدرها رئيس محكمة الثورة عواد حمد البندر. اما إذا انتقد وزيرا فحكمه السجن بحسب قرابة الوزير من رئيس النظام.

وصل الوضع لدينا الى درجه من السوء كان علينا ان ننكر أي علاقة لنا بالدين والمذهب. حتى أصبح ذكر اسم الله او محمد او علي او القران او الإسلام خطرا. كنا نخاف انتقاد النظام ولو همسا لان "الحيطان لها اذان"

خلال السنة الثانية من كلية الطب ومع مرور العام، بدأت أشعر بالتوتر الشديد والقلق خوفا من مواجهة نفس مصير زملائي الشيعة الآخرين. بدأ والدي أيضا يشعر بالقلق لأن لديّ أخوين أكبر مني صادف أنهما كانا متزمتين دينيا. بالرغم من أنني لم أكن أعلم أنهم ينتمون إلى أي أحزاب سياسية شيعية، إلا أنهم كانوا يجتمعون مع العديد من الأصدقاء الذين سجنوا لاحقا أو حتى أعدموا لأنهم اتهموا بالانضمام إلى حزب الدعوة المحظور آنذاك.

اجتمع بنا والدي وطلب منا أن نصارحه ان كنا متورطين في أي أنشطة سياسية. أصدرت الحكومة قانونا يعاقب بالإعدام أي شخص يتبين أنه عضو في ذلك الحزب المحظور. وعد والدي أياً منا ان كان قد تورط في نشاط سياسي بأنه سيساعده على الفرار من البلاد اما بشكل رسمي او عن طريق المهربين. أكدنا له جميعا أننا لم نشارك في أي أنشطة سياسية. اطمأن والدي بصدق قولنا لأننا أقسمنا له اننا لم نكن منضمين لأحزاب محظورة.

الفصل الرابع

اقتحام السفارات

زعم النظام انه أحبط محاوله لأفراد من حزب الدعوة لاقتحام السفارة البريطانية الكائنة في منطقة الشواكة عن طريق قارب مائي انطلقوا به من الضفة المقابلة للسفارة على نهر دجله. أعلنت الحكومة انها أحبطت العملية وقتلت المهاجمين الذين اتهمتم بأنهم من حزب الدعوة. لم نتمكن من التأكد من صحة المعلومات لأنها كانت قادمة من النظام نفسه وباستطاعته ان يدعي ما يريد دون ان يستطيع احد ان يناقشه.

في صيف عام 1980، ذهبت في عطلة إلى لندن مع والديّ وعدت قبل بداية السنة الثالثة. ذهبت الى القنصلية البريطانية ووقفت في الطابور للتقديم على التأشيرة اعجبني منظر حديقة السفارة المطلة على نهر دجله فكنت انظر الى الحديقة بينما انا انتظر دوري في الطابور. فوجئت بشرطي السفارة يأتي مسرعا نحوي ويصيح عليّ "الى ماذا تنظر؟" قلت" لا شيء فقط انتظر دوري" قال "لماذا انت في الطابور؟" قلت "للتقديم على تأشيرة دخول" اخذني الى مقدمة الطابور وطلب من الموظف اكمال معاملتي حتى اخرج. لقد خشي الشرطي أني كنت انظر الى الحديقة للتخطيط او المساعدة في تخطيط هجوم كما حدث قبل بضع أيام. يبدو انني كنت انظر الى نفس المكان الذي حاول فيه المهاجمون اقتحام السفارة. لقد كان الامن والشرطة يشككون في كل شاب يرونه ان يكون معاديا للنظام او له نيات عدوانيه.

سافرت الى بريطانيا مع اهلي في الصيف. شعرت بالحرية التي كان الناس يعيشها في الغرب والتي حرمنا منها في العراق. بدأت الأفكار تدور في ذهني لمحاولة الانتقال إلى إنجلترا والهروب من الإرهاب الذي عشته في العراق.

كانت لندن آنذاك تعج برجال المخابرات العراقية. حتى الطائرة العراقية كان فيها كثير من عناصر المخابرات العراقية. بعد تفتيشي في مطار هيثرو بلندن لدى رجوعي للعراق وعند صعودي للطائرة قام احد الركاب بتفتيشي داخل الطائرة. عرفت انه ضابط مخابرات فلم اناقشه عندما قام بتفتيشي. كان غليظ الكلام ذا شارب كثيف يدل على انه رجل مخابرات. كانت كل طائره عراقية تحمل عددا من رجال المخابرات خوفا من الخطف او التفجير.

لقد كان رجال المخابرات العراقية يجلبون اسلحه الى بريطانيا عن طريق الدبلوماسيين الذين لا يعرضون للتفتيش تمهيدا لاغتيال معارضيهم او لارتكاب اعمال ارهابية.

في نهاية ابريل عام 1980 خطط ضباط من المخابرات العراقية لعناصر من منظمة معادية للحكومة الإيرانية تطلق على نفسها اسم الجبهة العربية لتحرير الاحواز للقيام بعمل إرهابي في لندن. لقد زودهم العراق بجوازات سفر عراقية مكنتهم من دخول بريطانيا. وزودهم ضباط المخابرات العراقية في لندن فقاموا بمهاجمة واحتلال السفارة الإيرانية في لندن، احتجزوا 26 رهينه وطالبوا بأطلاق سراح سجاء سياسيين عرب محتجزين في إيران. لم تستجب إيران

لمطالبهم ورفضت إيران أي تفاوض مع بريطانيا تاركين الرهائن يلاقون مصيرا غامضا. لقد تخلى نظام المعممين عن رعاياهم وموظفي سفارتهم حيث قالوا ان هؤلاء الرهائن سيكونون شهداء ويضافون الى قائمة شهداء الثورة الإسلامية! أقدم المهاجمون التابعون لهذه المنظمة على قتل احد موظفي السفارة ورموه خارج السفارة. تمكنت القوات الخاصة البريطانية (SAS) من اقتحام السفارة وقتل الرهائن باستثناء واحد منهم نجا من القتل وسجن. لقد أعطت رئيسة وزراء بريطانيا آنذاك الضوء الأخضر للقوات الخاصة لتصفية المهاجمين حتى يكون ذلك درسا لكل من يخطط لارتكاب اعمال ارهابيه. لقد قالت لهم حرفيا " كل من جاء الى بلدنا بنية الإرهاب لن يخرج منه حيا" يقال ان رجال القوات الخاصة عندما قبضوا على الناجي الوحيد من الخاطفين أرادوا اخذه داخل السفارة وتصفيته الا انهم أخبروا ان عملية الإنقاذ كانت مصوره من قبل محطات التلفزيون على الهواء فتوقفوا.

سبق للمخابرات العراقية القيام بعمليات تصفيه للمعارضين السياسيين داخل لندن كان أهمها اغتيال عبد الرزاق النايف الذي كان رئيس وزراء العراق بين 17-30 تموز 1968 وهو الذي مهد لمجيء البعثيين بعد ان تامر على عبد الرحمن عارف حيث كان يشغل مركز رئيس الاستخبارات في حكومة عارف. يجدر بالذكر ان النايف كان مسلما سنيا من الفلوجة تم اغتياله عام 1978.

الفصل الخامس

الطرد المشبوه

في يوم من الأيام استلمت طردا بريديا أرسل باسمي وعلى عنوان بيتي لم يكن هناك اسم او عنوان للمرسل فتحت الطرد فوجدت كتابا كان غلافه يبدو جميلا. كان اسم الكتاب " النصيرية او العلوية" قرات محتوياته فوجدته ينتقد المذهب النصيري ويتهمه بالكفر والخروج عن دين الإسلام. تبين ان النصيرية هو المذهب العلوي الذي كان ينتمي اليه بعض سكان سوريا ولبنان وينحدر منه الرئيس السوري آنذاك حافظ الأسد. لم اعرف مغزى الكتاب ولماذا أرسل الىّ ومن ارسله. سالت اخي اديب فقال لابد ان أحد اصدقاءك قد ارسله اليك. وجدت جوابه ساذجا فمن من مصلحته ان يجازف ليبعث لي كتابا ينتقد النصيرية؟ وما هو الهدف؟ اصابني القلق. سالت أصدقائي في الكلية ممن اثق بهم تبين انهم استلموا نفس الكتاب. لقد تبين ان اتحاد الطلبة قد اعطى عناوين الطلاب الشيعة

لقيادتهم الحزبية وأرسلوا الينا هذا الكتاب اما للتخويف او للاختبار. بقيت في حيرة من امري ماذا افعل به؟ هل احرقه؟ ام هل اسلمه لدائرة الامن المحلية او الفرقة الحزبية؟ صديق لي اسمه رافد سلمه لأخيه الأكبر الذي سلمه للفرقة الحزبية المحلية. المضحك ان الفرقة الحزبية اعترفوا له انهم هم من ارسلوه ليختبروه ان كان سيسلمه لهم. صديق اخر اسمه علاء حبيب سلمه الى اتحاد الطلبة حيث كان قد انتمى إليهم مؤخرا خوفا وليس حبا حيث كان علاء إيراني الاصل. صديق اخر اسمه احمد احرقه.

بعد أسبوع من الحيرة أبلغت والدي بالخبر وحدث ما كنت اخشاه. لقد ثارت ثائرته وبدا وغضب بشدة عليّ ظنا منه اني كنت اخفي شيئا قلت له "اني لا اعلم أي شيء عن هذا الكتاب وانه ليس كتابا سياسيا بقدر ما هو كتاب مثير للطائفيه ومعاداة النصيريه وتكفيرهم". أخبر والدي جارة لنا كانت بعثيه فساعدتنا في الامر حيث اخبرت الفرقة الحزبية واخذت الكتاب مني وسلمته لهم. قالت لنا لقد فعلتم الشيء الصحيح بأخبار الفرقة الحزبية لان هذا الكتاب معادٍ للنظام.
ضحكت في نفسي لان الحكومة لا تبعث كتابا تحرض فيه الناس على نفسها، بل هذا الكتاب هو تكفير الطائفة النصيرية التي ينحدر منها حاكم سوريا وبالتالي فهو يصب في خدمة نظام صدام باعتبار ان رئيس سوريا كان عدوه اللدود وانه علوي نصيري.
لقد تبين ان هذا الكتاب كان مرسلا من الأجهزة الحزبية او الأمنية لإرهاب الشباب الشيعة.

في يوم وجدت في مدخل بيتنا قرب الباب الخارجية منشورا يبدو ان شخصا ما في حزب الدعوة قد رماه، كان المنشور يسخر من صدام ويظهر فيه صورته مرتديا ملابس نسائية. لقد اصبت بالذعر وقمت بأحراقه فورا. لو صادف ان رآني أحد قبل احراق المنشور لقبض علي وتم اعدامي. من المضحك ان الآلات الطابعة كانت محظورة الا بموافقات خاصه للدوائر او الشركات. اما اذا عثر على الة طباعة في بيت من البيوت فان مصير صاحب البيت هو الإعدام لأنه سيتهم باستخدامه لطبع منشورات معادية للنظام.

لقد تبين ان الأحزاب الشيعية كانت تستخدم الأطفال لتوزيع هذه المنشورات مقابل المال دون ان يعلم هذا الصغير ما هو محتوى المنشور. كانوا يعطونهم مالا مقابل رمي هذه الأوراق في مداخل البيوت ليلا. لقد اعدم كثير من هؤلاء الصغار القصر رغم صغر أعمارهم وجهلهم بمحتوى المنشورات.

في يوم وجدت في قاعة التشريح في مكان ما كتابه بخط صغير تقول "الموت لصدام او يسقط صدام" اخبرت صديقي علاء حبيب فقال هؤلاء مجانين انهم يكتبون كتابات هنا وهناك لا فائدة منها وقد تضرنا لان الامن ان عثر عليها فسيتم القبض على الطلاب الشيعة وربما يتهمون احدنا بها.

كنت أحيانا اذهب الى مكتبة مستشفى مدينة الطب للدراسة بعد الدوام وفي يوم فوجئت ان حارس المستشفى يمنعني من الدخول، قلت له انا طالب في كلية الطب انوي الذهاب للمكتبة. قال لي "ممنوع الدخول لكل الطلاب سوى الأطباء واثناء الواجب فقط". لقد تبين ان بعض الطلاب من الشيعة المعارضين قد كتبوا على منضدة في المكتبة او على كرسي او حائط عبارات مناهضه للنظام. قررت عدم الذهاب لمدينة الطب والرجوع للبيت فور انتهاء المحاضرات.

الفصل السادس

الحرب العراقية الإيرانية

بدأت السنة الثالثة من الجامعة في بداية سبتمبر 1980 وقد قررت التركيز على دراستي وتجنب أي اتصالات مع المتزمتين الشيعة. ولكن بعد أسبوعين فقط من بداية العام وبالضبط في 22 سبتمبر 1980 أعلن صدام الحرب على إيران وغزت قواته العديد من الأراضي والبلدات الإيرانية. كانت الغارات الجوية وصفارات الإنذار متواصلة فأوصلت البلاد إلى طريق مسدود ونتيجة لذلك أغلقت المدارس والجامعات أبوابها أمام الطلاب بعد أسبوعين من الحرب. توقع صدام أن يسقط النظام الإيراني في غضون خمسة أيام من الغارات الجوية والغزو البري، لكن افكاره الحمقاء ذهبت سدى ورفض النظام الإيراني الاستسلام أو وقف الحرب وقرر مواصلة القتال حتى يسقطوا نظام صدام. احتل جيش صدام مدينة خرمشهر الحدودية والتي كان يسميها "المحمرة" وحاصر مدن عبادان والاهواز واحتل مدن صغيره أخرى مثل قصر شيرين ومهران.

ادعى صدام ان ايران هي التي بدأت الحرب في 8 سبتمبر وانه اضطر للرد بهجوم يوم 22 سبتمبر ولكننا كنا نعرف ان كلامه كان باطلا لأنه قام علنا بتمزيق اتفاقية الجزائر التي وقعها بنفسه مع شاه ايران عام 1975 بوساطة الرئيس الجزائري هواري بومدين. ادعى صدام انه كان مضطرا للتوقيع على

اتفاقية الجزائر التي تنص على تقاسم شط العرب الذي يسميه الإيرانيون "رود اروند" مناصفةً مقابل توقف الشاه عن مد المقاتلين الاكراد، الذين كانوا يقاتلون لأجل استقلال كردستان، بالسلاح.

بعد شن الحرب على إيران لم تكن شروط صدام الحصول على السيادة الكاملة على شط العرب فحسب بل تعداه الى المطالبة باستقلال محافظة خوزستان التي كان يسميها البعثيون "عربستان" بالإضافة الى تسليم الجزر الثلاث التي كانت موضع خلاف مع دولة الامارات.

لقد استغل صدام ضعف الجيش الإيراني بعد ان أقدم رجال الدين في إيران بقيادة الخميني على اعدام وسجن الضباط الذين كانوا موالين للشاه وفرار الكثير منهم خارج إيران. كما استغل فرصة الحظر الأمريكي الذي فرضه الامريكان على إيران بعد احتجازهم لرهائن السفارة الإيرانية الذي قطع صلات إيران بجميع الدول الغربية التي وقفت مع صدام وساندته في حربه ضد إيران. كما ان دول الخليج وقفت بشده مع صدام لأنهم كانوا يخافون من مشروع "تصدير الثورة" الذي طرحه الخميني فأمدت العراق بالمال حتى يتمكن من شراء الأسلحة والمعدات التي تمكنه من مهاجمة إيران وادامة عملياته العسكرية. لم تكن ايران بالفريسة السهلة لصدام فمساحتها ونفوسها يبلغان ثلاثة اضعاف مساحة ونفوس العراق. كان الجيش الإيراني في حالة انهيار تام وكانوا يعتمدون على متطوعين غير مدربين أطلق عليهم اسم "الحرس الثوري" كثير منهم كانوا من الأطفال ممن لا تتجاوز أعمارهم الثامنة عشر عاماً يحملون اسلحه بدائية خفيفة. كان رجال الدين يخشون تحريك وتسليح الجيش الإيراني خوفا من ان يقوم بالانقلاب عليهم.

وقفت جميع الدول العربية ولاسيما الخليجية وبالذات الكويت والسعودية والبحرين مع صدام في حربه وامدته بالمال. اما الأردن فقد فتح له ميناء العقبة حتى يستورد عن طريقها أسلحته. ظهر على شاشات التلفزيون العراقي الملك حسين وهو يزور جبهة القتال مع إيران ويطلق بنفسه صاروخ ارض ارض على إيران وامام شاشات التلفزيون. ايدت جميع الدول العربية موقف صدام ومطالبه باستثناء سوريا حيث صرح حافظ الأسد في خطاب سمعته بنفسي من الإذاعة السورية ان هذه الحرب لا تخدم القضية العربية ولو انها كانت لكان من المفروض ان يستشير صدام سوريا لأنها احرص من غيرها على قضايا الامة العربية. ازداد عداء صدام لحافظ الأسد وكان في جميع خطاباته في التلفزيون

العراقي يشير الى الأسد باسم "أبو سليمان" لم يكن للأسد ابن اسمه سليمان حسبما عرفنا لكنه أراد بأسلوبه الفارغ من المعنى الانتقاص من أصل حافظ الأسد. مقابل ذلك كان التلفزيون والإذاعة السورية تعرض دوما اغنية لموفق بهجت اسمها "ياصبحه هاتي الصينيه" استهزاءً بأم صدام التي كان اسمها صبحه طلفاح والذي اطلق عليها صدام لقب "ام المناضلين". يقال ان هذا العمل اثار غضب صدام فحاول الترتيب لاغتيال الأسد في مؤتمر القمة العربية في الرباط والتي احبطتها المخابرات المغربية.

تم إرسال العديد من الشباب العراقيين إلى الخطوط الأمامية في الحرب مع إيران لمواجهة الموت أو الجرح أو الوقوع في الاسر لدى الايرانيين. تم تجنيد أخي الأكبر اديب للتو في الجيش وتم إرساله للخدمة في وحدة رادار في مطار عسكري في ضواحي بغداد وهو مكان يسمى معسكر التاجي. أحد أعمامي (عصام) كان برتبة رائد في الجيش العراقي وصادف أنه كان امر وحده من الضفادع البشريه في مشاة البحرية وقد تم أسره من قبل الإيرانيين في ميناء البكر في بداية الحرب حيث تمت محاصرتهم وأخذوا أسرى حرب.

بعد شهرين من إغلاق المدارس والجامعات أبوابها بوجه الطلاب، أعادوا فتحها للطلاب، وعدت إلى الجامعة. مع مرور العام، شعرت آنذاك بالحاجة إلى مغادرة البلاد في أقرب فرصة ممكنة لأنني شعرت أن العراق ليس مكانا آمنا للعيش. توقعت أيضا أن تستمر الحرب لسنوات عديدة وأنني عاجلا أم آجلا سأضطر للانضمام إلى الجيش والخدمة في الحرب التي لم يكن لها هدف سوى خدمة طموحات وجشع نظامين ديكتاتوريين.

على الرغم من كل الضغوط التي مررت بها مع الحرب والقمع المستمر للمعارضين السياسيين وخاصة الشيعة، تمكنت من اجتياز امتحاناتي والنجاح في ذلك العام. أحد المناهج التي كنا نجبر على دراستها هو مادة الثقافة القومية والاشتراكية حيث كنا نستمع الى كلام فارغ لا معنى له وهي إنجازات الحزب والثورة والحرب العراقية الإيرانية التي اطلق عليها صدام اسم "قادسية صدام". كان لزاما عليّ الحضور والإجابة على الأسئلة عن انتصارات من سماهم صدام "صناديد القادسية" على "الفرس المجوس" وهو مصطلح يدل على فاشية هذا النظام الذي اعتبر الفرس جميعا من الاجناس المنبوذة.

لقد كتب خير الله طلفاح وهو خال صدام وأبو زوجته كتابا اسمه "ثلاثة اخطا الله في خلقهم الذباب والفرس واليهود" لقد رأيت الكتاب بنفسي واستغربت ان يكتبه رجل يدعي الدين والإسلام مثل خير الله. لكن لا شيء غريب على هذه العائلة.

قرب نهاية هذا العام، اختفى ابن صفي وصفي عبد علي فجأة واكتشفنا أنه تم اعتقاله من قبل جهاز الامن العام. كان وصفي شيعيا متطرفا كان يحث الشيعة على معارضة الحكومة. كان له تأثير سيء على العديد من الشباب الذين قام بإعدادهم وغسل أدمغتهم. في أيامه الأخيرة قبل اعتقاله حاول جاهدا إخفاء انتمائه الديني من خلال التدخين علنا حيث ان المتدينين لم يكونوا مدخنين. وقام بالمشاركة في بعض فعاليات البعثيين والاحتفالات البعثية مثل ميلاد الحزب يوم 7 نيسان فانشد قصيده في هذه المناسبة لإخفاء أيديولوجيته السياسية والشيعية. كان يعمل بما يسميه الشيعة "التقيه". وهي اظهار غير ما يبطنه المرء دفعا للأذى. كل محاولاته لإخفاء تعصبه الديني المذهبي والسياسي ذهبت سدى. فعملاء جهاز الامن لا يمكن خداعهم من قبل شخص مثل وصفي او غيره.

كان رجال الامن الداخلي عندما يقبضون على شخص يشتبه بانتمائه لحزب الدعوة يقومون باستنطاقه عن طريق التعذيب لمعرفة من هم رفاقه في الحزب ثم يعتقلونهم. حكم على وصفي فيما بعد بالسجن لمدة 10 سنوات قضى منها نصف الفترة وأفرج عنه في عام 1985 بعفو عام. كان أحد المحظوظين لأن غالبية الآخرين الذين اعتقلوا لم يعودوا أبدا وأدركنا بعد ذلك أنه تم إعدامهم ودفن جثثهم في مقابر جماعية حتى لا يمكن التعرف عليهم.

الفصل السابع

سفرتي الثانيه الى لندن

بعد انتهاء السنة الثالثة في الجامعة وفي صيف عام 1981 ذهبت مرة أخرى في عطلة مع والديّ إلى لندن. هذه المرة كان لدي نية عدم العودة إلى العراق. أخذت معي وثائق تثبت أنى طالب في الجامعة. طلبت من والدي مساعدتي، وطلب من أصدقائه العراقيين الذين غادروا العراق قبل سنوات عديدة مساعدتي في الاستقرار في إنجلترا. بذلت عائلة بريطانية أجرت لنا شقة للإقامة في لندن في فينشلي قصارى جهدها لمساعدتي. السيدة صاحبة الشقة التي كان اسمها

هيلدا والتي التقينا بها من خلال جارنا من العراق ناجي شاؤول ساسون وزوجته مارسيل الذين كانوا يهودا عراقيين تعرضوا للاضطهاد في العراق وأجبروا على المغادرة في عام 1970 والاستقرار في المملكة المتحدة حاولت مساعدتي.

أرسلت رسائل إلى العديد من كليات الطب في المملكة المتحدة تطلب منهم تسجيلي في دوراتهم. كما عرضت علي إذا كنت سأقرر أن تستقبلني في منزلها لأنها ستؤجر لي غرفة عندها بسعر مناسب. في النهاية تلقيت رسالة من كلية طب لندن الجامعية تعرض علي مكانا كطالب أجنبي لأبدأ في السنة الأولى من دراستهم. كانت المشكلة الوحيدة هي الرسوم الدراسية التي كانت حوالي 12 الف جنيه إسترليني في السنة والتي كانت فوق طاقة والدي. كما أرادوا مني أن أبدأ السنة الأولى عندما أكون قد أكملت بالفعل ثلاث اعوام من كلية الطب في العراق. كما بحثت عن طريق آخر وهو الذهاب إلى الأردن وإنهاء دراستي الطبية هناك حيث سأكون بعيدا عن نظام صدام وسأتجنب السجن أو التجنيد واللحاق بحربه المجنونة. تحدث والدي إلى الدكتور صادق الهلالي الذي كان عميدا لكلية الطب الجامعة الأردنية وهو من أصل عراقي والذي عرض المساعدة.

أقنعني والدي بطريقة او بأخرى بالرجوع، أخبرني أنني ربما أصاب بمرض "الحنين للوطن" إذا غادرت البلاد. أخبرني انه لن يتمكن من تسديد نفقات دراستي ومعيشتي. أخبرني ان الوضع سيتحسن وان الحرب لن تطالني. لسوء الحظ، لم أستطع أن أصر على قراري بالاستقرار خارج العراق. ثم عدت إلى العراق لمواصلة رحلتي إلى المصير الغامض. لم يكن والدي يريدني أن أغادر العراق. أراد مني أن أبقى معه خاصة أنه قد كبر في العمر وسوف يحتاجني في كبره. في الوقت نفسه، كان لدي مكان جيد جدا في كلية الطب في بغداد والذي لن يكلفه شيئا لأن الرسوم الدراسية كانت مجانية.

الفصل الثامن

بدء السنة الرابعة في الجامعة

بدأت في رابع سنة في الجامعة في سبتمبر 1981 وهذا العام بدأت جلساتي السريرية في الجراحة والطب. لقد استمتعت تماما بجلساتي السريرية وأردت معرفة المزيد والمزيد. في هذا الوقت كانت الحرب تحصد الكثير من القتلى، تم

إرسال العديد من الشباب لمواجهة مصيرهم البائس في الخطوط الأمامية التي كانت إما الموت، أو الإصابة بجروح خطيرة، أو الوقوع في الاسر. فقد العديد من الجنود ولم يعرف مصيرهم ان كانوا أسرى او قتلى.

بحلول هذا الوقت اعتقلت الحكومة معظم المعارضين السياسيين الشيعة وتمكنت من إعدام العديد منهم. بدأ عدد الاعتقالات في الانخفاض لأن معظم الناشطين الشيعة إما أعدموا، أو سجنوا، أو رحلوا أو فروا من البلاد. بدأ تكتيك الحكومة يتغير وبدلا من اعتقال الشباب من منازلهم بدأوا في اختطافهم من خارج منازلهم. ثم تقوم الحكومة بإعدامهم، ولن تعرف عائلاتهم مكان وجودهم. خلال هذا العام اختفى زميل آخر يدعى جعفر حسين كان طالبا متميزا ومتفوقا علميا. وعرفنا أنه اختطف من خارج منزله. في العديد من المناسبات، كان رجال الامن يقتحمون قاعة المحاضرات لدينا ويوقفون المحاضرة ويدعون أسماء طالب أو طلاب ويتم نقلهم إلى مكان مجهول ولا يعودون أبدا. إذا لم يكن المشتبه به في المحاضرة في ذلك اليوم كانوا يطلبون من المحاضر المغادرة ويطلبون من الطلاب البعثيين او مسؤول الصف التوقف عند المخرج ثم يطلب منا ان نخرج واحدا تلو الآخر حاملين بطاقة هويتنا. اذكر ان مسؤول الصف كان شيعيا بعثيا وكان متدينا في نفس الوقت واسمه يوسف نعمه. ومن المفارقات ان أكثر الطلاب البعثيين اما فرّ الى خارج العراق لاحقا اثناء حكم صدام وطلب اللجوء في أوروبا او أمريكا ومن بقي منهم في العراق تولى مناصب مهمه في الحكومة الشيعية التي جاءت بعد السقوط حيث انهم تولوا مراكز مهمه في وزارة الصحة.

في إحدى المرات داهم رجال الامن قاعة المحاضرات التي سميت قاعة البكر وقطعوا المحاضرة ونادوا على شخص اسمه محمد جعفر، لم يكن الشخص المطلوب في الجامعة في ذلك اليوم، ولكنه جاء في اليوم التالي دون أن يعرف أنه مطلوب من قبل جهاز الامن دعاه أصدقاؤه للهرب وهو ما فعله لكن لا اعلم ان كان قد نفذ بجلده او لا.

خلال هذا العام كان افضل أصدقائي اسمه مالك عبد الحسين السماوي من محافظة السماوة بجنوب العراق. لقد كان فتى لطيفا وذكيا جاء الى بغداد لدراسة الطب. انحدر مالك من عائلة فقيرة في مدينة السماوة وقد تفوق في دراسته ودخل كلية الطب في بغداد. لقد كان ذكيا ومتفوقا علميا. كنا ندرس معا وقبل امتحان علم الأدوية الفارماكولوجي كان يردد لي المحاضرات التي حفظها عن ظهر قلب. لقد اعجبت كثيرا بمعرفته وذكائه وتوقعت أنه سيكون طبيبا ماهراً. أخبرني

أن طموحه هو الحصول على شهادة زمالة كلية الاطباء الملكية البريطانية بعد الانتهاء من كلية الطب ثم العودة إلى العراق للعمل كطبيب وخدمة بلده وشعبه وخاصة مدينة السماوة الفقيرة التي كانت في وضع سيئ للغاية تفتقر للخدمات من قبل الحكومة لأنها كانت محافظة ذات أغلبية شيعية.

كان الطلاب البعثيون يلقون علينا المحاضرات الواحدة تلو الأخرى ظنا منهم انهم سيغسلون ادمغتنا ويكسبوننا الى جانبهم. في البداية كان رئيس الاتحاد غسان عدنان ومساعدته سجى يتحدثون الينا عن منجزات "الحزب والثورة" وبعد ذلك برز شخص اسمه حسين هاشم كان يلبس ملابس زيتونيه وهي ملابس تميز بها البعثيون الكبار. كان حسين هاشم طالبا لكنه لم يدرس الطب انما كانت اسئله الامتحانات تعطى له وهذا ما اخبرني به احد أساتذة الصحة العامة الذي كان شيعيا بعثيا لكنه لم يكن صداميا وهو المرحوم الدكتور حميد تاج الدين. لقد أخبر والدي انه يجبر على إنجاح هؤلاء الطلاب مثل حسين هاشم وطالب اخر اسمه ميخائيل واخر اسمه قصي وهؤلاء لم يكونوا الا عناصر مخابرات وفي نفس الوقت طلاب طب فاشلين. من المفارقات ان كثير من البعثيين في الكلية ذوي الرتب العالية مثل أعضاء الفرق او الشعب كانوا من الشيعة فقد كان قصي وصائب من الناصرية وهي محافظه شيعيه في الجنوب. واخرون من كربلاء. لم اعلم ماهو سر انتماء هؤلاء الشيعة للحزب. كان بعض البعثيين الشيعة اكثر خطرا من البعثيين السنه او المسيحيين. كانوا يميلون الى كتابة التقارير عن الطلاب الشيعة حتى يحصلوا على مناصب متميزة.

في يوم جاء حسين هاشم الى الصف ووزع علينا استمارات التطوع للخدمة في الجبهة. كان هناك خياران ان اكتب مستعد للتطوع او اكتب غير مستعد واعطي سببا لعدم الرغبة في التطوع. صديق لي اسمه قتيبه السامرائي أصابه الخوف فكتب انه مستعد للذهاب الى الجبهة. اما انا فكنت جريئاً وكتبت غير مستعد وتحججت باني مشغول بالدراسة.

لقد فعل صدام الشيء نفسه قبل بضعة أيام مع رفاقه البعثيين حيث وزع عليهم استمارات التطوع. رفض قسم غير قليل من كبار البعثيين من أعضاء الفرق او الشعب التطوع للقتال. قابلهم صدام في قاعة وعرضت المقابلة على شاشات التلفزيون لأثارة الرعب بين الناس. انهال عليهم صدام بالسب والشتيمة واتهمهم بانهم متخاذلون وجبناء ثم فصلهم من الحزب. قال لهم صدام باللهجة التكريتيه "اللي اسمعو ولو همسا يحجي مع مواطن او بعثي الا اطرو بيدي اربع وصل،

يلله اطلعوا انتو مفصولين من الحزب" ومعناه من يعترض على قراري فسأقطعه ارباً. لقد تعود صدام على استخدام هذه الالفاظ التي لا يصح ان تصدر من حاكم دوله او شخص مسؤول بل من رئيس عصابه.

ترى لماذا لم يذهب هو نفسه للقتال في الجبهة؟ ولماذا لم يبعث ابناءه الى الجبهة؟ هل أصبحت حياة المواطن العراقي رخيصة بهذا الشكل وحياته وحياة أولاده مهمه وغاليه؟

الفصل التاسع

كيف تم اعتقالي؟

في يوم الأربعاء 25 نوفمبر 1981 ، استيقظت عند الفجر وارتديت رداء حول ملابس النوم "البيجاما" الخاصة بي للتحضير لإيصال اخي الى كراج العلاوي وهي محطة سيارات او حافلات النقل حيث سيأخذ سيارات نقل تقله إلى وحدته العسكرية في معسكر التاجي. كان الظلام دامسا حوالي الساعة 6 صباحا وكان أخي أديب يقود السيارة مرتديا زيه الأزرق وهو زي القوه الجوية وكنت جالسا في المقعد المجاور في سيارتنا تويوتا كورونا. فجأة في نهاية شارعنا جاءت سيارة أجرة من الشارع الجانبي وسدت طريقنا. ترجل منها رجل واقترب من نافذة أخي وقال إنني من فرقة مكافحة الإجرام وطلب هوياتنا. تحداه أديب ففتح الرجل الباب وأجبرنا على الخروج من السيارة. خرج رجلان آخران من سيارة الأجرة وبدأ أديب شجارا معهما باستخدام تقنيات فنون الدفاع عن النفس "التايكواندو" حاولت الركض نحو منزلي لإبلاغ عائلتي بأننا معتقلون لكن أحد الأشخاص الثلاثة طاردني بمسدس ووضعه على رأسي مما أجبرني على الاستسلام. ثم هاجم أديب ووضع المسدس على رأسه وأجبره على الاستسلام. تم تقييد يديَّ في سيارة الأجرة وتوجهوا بنا نحو مديرية الامن العامة في القصر الابيض في شارع السعدون. أتذكر أسماء عملاء الامن الثلاثة الذين اعتقلونا من خارج المنزل، وكان سائق سيارة الأجرة هو النقيب عدنان، وبجانبه كان العميل سمير الذي كان مسيحيا من المنصور وهي نفس الضاحية التي نعيش فيها. والثالث كان مفوض عامر. كان النقيب عدنان رئيس فريق الاعتقال وكان الأكثر خبثا ووحشية بين الثلاثة. أشرف النقيب عدنان على استجواب وتعذيب السجناء الشيعة السياسيين في مقر الامن في القصر الابيض. الشخص الذي كان اهون شرا فيهم كان العميل المسيحي، سمير. على الرغم من أن أخي قد ضربه بشده

أثناء شجاره معه، إلا أنه تعاطف معه لاحقا كما سمعت. أظهر اخي اديب شجاعة فائقة في مقاومة رجال الامن وقوه فوق العادة حيث لم يتمكن ثلاثتهم من السيطرة عليه الا بوضع المسدس على راسه والتهديد بإفراغه في راسه ان هو لم يستسلم.

اقتادنا النقيب عدنان والمفوض عامر في سيارة الأجرة وكان عدنان يقودها اما عامر فكان جالسا في المقعد المجاور يراقبنا. خلال الرحلة إلى "القصر الأبيض" كانوا يصرخون بالشتائم تجاه أخي لأنه كان الشخص الذي أرادوا اعتقاله وليس أنا. قالوا لنا إنهم كانوا يراقبون منزلنا لبضعة أيام قبل اعتقالنا ولم يتوقعوا وجودي في السيارة. فهمت أنهم أرادوا فقط اعتقال أخي أديب ولم يتم أخذي إلا لأنني كنت هناك معه في السيارة. أخبرهم أديب في السيارة أنه لم يعرف أنهم من رجال الامن، واعتقد أنهم لصوص يحاولون سرقتنا.

عندما وصلنا إلى القصر الابيض، فصلوني عن أخي. أمسك أخي على يدي وقال لا تخف. اخذوه بعيدا، اقتادوني إلى غرفة الاستقبال حيث كان عملاء جهاز الأمن يدخلون أثناء وقت الاستراحة. كنت مكبل اليدين ومعصوب العينين واحتجزت في تلك الغرفة طوال اليوم حتى حل الليل وخلال ذلك الوقت رأيت العديد من السجناء يتم إحضارهم إلى غرفة الاستقبال بعد استجواب قصير أو تعذيب. جاءوا بفتاة شابه استطعت رؤيتها خلف نظارتي الداكنة التي وضعت على عيني كانت تبكي وتطلب الرحمة. كانت تهمتها على ما يبدو انها انتقدت الدكتاتور صدام أمام إحدى صديقاتها التي قامت بدورها بالإبلاغ عنها للأسف وتم اعتقالها وإحضارها إلى هناك. كان الضابط الذي كان يستجوبها قد صرخ في وجهها وطلب منها أن تخبره عمن علمها انتقاد رئيس النظام. قالت له إنها لم تنتقده وان هناك سوء فهم، لكنه استمر في الصراخ عليها. رأيت عميل امن يلمس شعرها الطويل من الخلف بشكل غير لائق أخلاقيا ويقول لها: "إذا قلتي الحقيقة، سيتم إطلاق سراحك. إذا لم تعترفي من علمك ان تنتقدي صدام، فستقضين حياتك في السجن أو حتى تواجهي الموت" لكنها استمرت في البكاء ثم أخذوها إلى زنزانات توقيف النساء.

قال لها احد رجال الامن " لقد كان الأفضل لك ان تسبي الله او محمد. الم تجدي غير الرئيس صدام حتى تسبيه". من الغريب ان من يسب الله لا يعاقب بينما من يسب صدام مصيره الإعدام، لان صدام كان يعتبر نفسه فوق الرب وفوق الأنبياء.

تم إطلاق سراح شاب شيعي آخر وكان فرحا جدا لدرجة أنه طلب ان يقبل وجه مفوض الامن الذي أطلق سراحه. قال له المفوض "سنطلق سراحك لتذهب الى اهلك. كان الشاب يصرخ "سنبقى مخلصين للحزب والثورة". أدركت ان هذا الشاب قد تم تعذيبه بشكل جعله لا يصدق انه سيطلق سراحه ولشدة فرحته كان يهتف "للقائد والحزب والثورة"

في الليل جاء عميلان وسألاني بعض الأسئلة سألوني عن اخي سعد قلت لهم "ليس لي اتصال به لأنه لا يسكن معنا". عرفت اننا معتقلون بسببه لأنه معروف بتزمته الديني.

في حوالي الساعة 10 مساء جاءني عميل وأخذني وأخبرني أنه سيأخذني للبيت وكنت أعرف أنه كان يكذب وأنه سيأخذني إلى الحجز ذهبت معه.

أخذني عبر بعض السلالم، معصوب العينين حتى لا أعرف طريقي داخل المقر، ثم فتح بابا حديديا ثقيلا وادخلني في الزنزانة وتركني مع السجناء في ذلك المكان المغلق

الفصل العاشر

داخل الزنزانة المقفلة

دخلت زنزانة بها غرفتان كبيرتان وغرفة ثالثه صغيرة تؤدي إلى مرحاض. كان هناك 50 سجينا في الداخل. سألوني لماذا أحضرت إلى هناك فأخبرتهم أنني لا أعرف. بالطبع، لم أستطع الكشف عن أي معلومات عن إخوتي وتوجهاتهم الدينية لأنني كنت أعرف أن بعض السجناء يمكن أن يكونوا جواسيس للنظام.

سألني المعتقلون ان كنت متدينا فقلت "لا" وسألوني ان كان اخوتي متدينين فأنكرت حتى لا اجلب الشبهات. سألوني "هل انت شيعي؟" قلت "نعم" قالوا "ذلك يكفي" قلت لهم " هل انها جريمة ان أكون قد خلقت شيعيا؟ انه شيء ليس باختياري لأني ولدت على هذا المذهب فهل اعاقب على شيء ولدت عليه؟" ان كان الانسان يعاقب على شيء خلقه الاله عليه أفلا يكون أفضل ان يعاقب الخالق على ذلك بدلا من معاقبة المخلوق.

لم يكن للغرف نوافذ لذلك لم نتمكن من رؤية العالم الخارجي. في الزنزانة كنا نحصل على ثلاث وجبات في اليوم. يتكون الإفطار من قطعه صغيره من الزبدة أو الجبن مع قطعة من الخبز او ما نسميه في العراق صمونه. وجبة الغداء صحن من الأرز والعشاء كان قطعة صغيرة من الدجاج مع الصمون. في الليل كنا ننام على الأرض الباردة باستخدام الأحذية او ما نسميه البسطال وهي جزمه عسكريه كوسائد، وكانت هناك بطانية واحدة لخمسة أشخاص. كان بعض السجناء أنانيين للغاية حتى وهم في هذا المكان المشؤوم فقد كانوا يقومون بسحب البطانية بعيدا عني في الليل فأصاب بالبرد الشديد. لم تكن هناك مساحة كافية لنوم 50 سجينا، لذا كان علينا أن نتناوب. بعض السجناء يبقون مستيقظين لمدة نصف الليل ثم يتبادلون مع الآخرين عندما يستيقظون. كان الجو باردا جدا في ذلك الوقت حيث كنا في منتصف الشتاء ولم يكن هناك تدفئة في الغرف. كان جميع السجناء موبوئين بالقمل. سرعان ما انتقل القمل اليّ.

كنت متوترا وقلقا على مصير اخي وعائلتي، لكنني لاحظت أن المعتقلين الاخرين لم يكونوا مثلي في التوتر وكانوا يستمتعون بلعب ألعاب مثل الدومنه. لقد صنعوا القطع بأنفسهم من كرتون. بين الحين والآخر كان عملاء الامن يفتحون الباب ويأخذون سجينا واحدا يعود لاحقا سالما، وكنت أعرف أن هؤلاء ربما كانوا جواسيس ينقلون المعلومات من داخل الزنزانة الى الامن. كان هناك شخص واحد بدا لي أنه شيعي متطرف للغاية. ظل يقول لي إن الشيعة مضطهدون ويجب أن يقاتلوا من أجل استعادة حقوقهم وإسقاط النظام الكافر. طلبت منه أن يحتفظ بآرائه لنفسه وألا يكشفها للأخرين لأنني كنت أعرف أن هناك العديد من الجواسيس في داخل الزنزانة. لم يستمع إلي، ولم تكن الا مسالة أيام حتى استدعاه رجال الامن وأخذوه من زنزانتنا ولم يعد أبدا. كان شجاعا ولم تظهر عليه علامات الخوف حين استدعوه.

المعتقلون الذين كانوا معي في الزنزانة لم يكونوا أنفسهم مشتبها بهم ولكن كانوا مثلي، اما إخوة أو أقارب للمشتبه بهم واخرون سقطوا في كمين نصبه رجال الامن فبعد ان يعتقلوا مشتبها به في حزب الدعوة ينصبون كمينا لاعتقال من يأتي لزيارتهم للبيت عسى ان يكونوا معهم في التنظيم. يتم تعريض بعضهم للتعذيب الشديد للاعتراف بأنهم أعضاء في الحزب الشيعي فهناك من يوقع على اعترافات تحت تأثير التعذيب واخرون ممن يتحملون التعذيب ولا يوقعوا.

أخبروني ان الزنزانة التي كنت فيها هي أحسن زنزانة في دائرة الامن لأنها للمحتجزين فقط وليس للمتهمين او المشتبه بهم فهؤلاء كانوا في زنزانات أخرى مرعبه ولا يسمح لهم بالتحدث مع بعضهم ولا يسمح لهم بالتجول او الذهاب الى المرافق الا في أوقات معينه يختارها الامن لهم. قال لي المعتقلون معي ان زنزانتنا يطلق عليها اسم "جنة الامن". ياعجباً ان كانت هذه جنة الامن فكيف هو وضع جهنم الامن؟

كان هناك رجل ينزف دما في بوله أخبرني أنهم وضعوا سلكا في مجرى البول في محاولة للحصول على اعترافات بالتعذيب، ولكن لحسن الحظ لم يعترف، وبالتالي تم إحضاره إلى هذه الزنزانة الخاصة في انتظار قرار إما بالإفراج عنه أو إحالته إلى محكمة الثورة السيئة الصيت.

كان على رئاسة محكمة الثورة آنذاك في ذلك رجل بعثي شيعي شديد القسوة. يدعى مسلم الجبوري. سمعت أنه كان يحكم على غالبية الشيعة المتهمين بالانتماء إلى الأحزاب السياسية الشيعية بالإعدام. سمعت الكثير من القصص عنه ذلك أنه لم يسمح للمتهم بالتحدث أو الدفاع عن نفسه وكان يصرخ بالإساءة اللفظية على المتهمين قبل الحكم عليهم بالإعدام.

كان مدير الامن العام بعثيا سنيا يدعى فاضل البراك، وقد أعدمه صدام بعد سنوات عديدة. حتى هذا الذي كان من صلاح الدين أي نفس المحافظة التي جاء منها صدام لم يسلم من بطشه. لقد جاء صدام من قرية في تكريت اسمها العوجه كانت قرية مطمورة. كانت أقرب مدينه لها هي تكريت ويقال ان اهل تكريت كانوا ينظرون لأهل العوجه نظرة استعلاء وان صدام لم يكن يحبهم لكنه اضطر للاستعانة بهم. وقد أعدم صدام كثيرا من التكارته مثل اللواء الطبيب راجي التكريتي وقبلها في بداية مجيء البعثيين اغتال العقيد حردان التكريتي.

قسم الامن الذي كان يتعامل مع السجناء السياسيين الشيعة كان يسمى الشعبة الخامسة أو الشعبة الخاصة كان يدار من قبل سني بعثي شرير جدا يدعى المقدم زهير وهو دليمي من محافظة الانبار لونه شديد البياض يميل الى اللون الأحمر. خلال إقامتي في الزنزانة المرعبة، لم أتعرض مباشرة للتعذيب الجسدي. ومع ذلك، كانوا يجلبون قرب الباب سجناء شيعة سياسيين ممن تعرضوا للتعذيب الشديد، وهم يعانون من الألم وكانوا يصرخون من الألم الشديد. في الوقت نفسه، كانت غرف التعذيب تحتنا بضعة طوابق، وكان بإمكاننا سماع صراخ الذين يتم

التحقيق معهم، وهم يصرخون بصوت عال جدا لشدة التعذيب. كانت بعض الأصوات تصدر من نساء يتعرضن للتعذيب.

الفصل الحادي عشر

الوضع في البيت

كان الروتين المعتاد لليوم بالنسبة لي هو توصيل أخي إلى محطة حافلات العلاوي السادسة صباحا والعودة وارتداء ملابسي للذهاب إلى الجامعة حوالي السابعة صباحا. لاحظ والداي عندما استيقظا الساعة التاسعة أنني لم أعد بعد أن اوصل أخي، قاموا بمعاينة غرفتي ولاحظوا ان الزي الجامعي العائد لي في مكانه مما يعني أنني لم أذهب إلى الجامعة اصلا.

أدركوا أن شيئا ما قد حدث بينما كنت أوصل أخي إلى محطة الحافلات. لم يكونوا متأكدين حتى الآن مما إذا كنا قد اعتقلنا أو تعرضنا لحادث.

كانت الخطوة الأولى لوالدي هي الذهاب إلى كلية الطب والسؤال. ذهب إلى هناك وزار اتحاد الطلاب وتحدث إلى رئيس اتحاد الطلبة الذي تراسه غسان عدنان وهو طالب من صفي. أبلغ غسان والدي أنني لم آتِ إلى الجامعة ذلك اليوم. استفسر والدي منه عما إذا كان للبعثيين أي علاقة باختفائي. قال غسان لوالدي إنه كتب تقريرا عني إلى رؤسائه في حزب البعث بأنه ليس لدي أي انتماء سياسي ولا يوجد قلق من التورط في أي جماعة متعصبة.

كانت الخطوة التالية لوالدي هي زيارة وحدة إخي العسكرية في التاجي فأخبروه أن أخي لم يحضر إلى وحدته.

كان لدينا جيران مسيحيون طيبون دعموا والدي خلال هذا الوقت العصيب. جارنا كان شماس (حارس الكنيسة) يعقوب ذهب معه لزيارة مراكز الشرطة والمستشفيات وشعبة الطبابة العدلية. لم يجدوا أي إجابة عن مكان وجودنا.

بدأ والدي بطلب المساعدة من الأصدقاء والجيران. كان أحد أفضل أصدقائه الدكتور إبراهيم الحيالي طبيب قلب مسيحي وكان مقربا من القصر الجمهوري

حيث كان الطبيب الشخصي لصدام. استخدم دكتور إبراهيم نفوذه واتصالاته في القصر الرئاسي وتمكن من الوصول الى اسرار القضية الغامضة.

حصل والدي على معلومات من الدكتور إبراهيم الحيالي الذي سأل أشخاصا مقربين من صدام والقصر الرئاسي وكانت مفادها أننا معتقلون في مديرية الامن العامة
المعلومات التي حصل عليها وفقا لتقارير تم الحصول عليها باعتراف تحت التعذيب لشخص كان مشتبها بانتمائه لحزب الدعوة اسمه احسان علي كريم يبدو انه كان زميلا لأديب في الكلية أن أخي الأكبر سعد متهم بانه متورط في حزب شيعي متطرف وان اديب ربما يكون متورطا، ولكن بدرجه اقل من سعد. كل هذه كانت شبهات ومعلومات غير دقيقه تم الحصول عليها عن طريق استنطاق مشتبهين بهم تحت التعذيب. لم أكن اعرف عن سعد واديب سوى انهما كانا متدينين فقط اما مسالة انهما أعضاء في احزاب متطرفة فهذا لم يكن في علمي الا اذا انهم كتموا ذلك عني. يبدو حسب اعترافات المشتبه به احسان علي كريم التي انتزعت بالتعذيب انه اجتمع مع اديب وسعد عدة مرات وانه كان يحاول اخراج سعد خارج العراق وانهم ناقشوا قضايا دينيه وأخرى سياسية. لا نعلم مدى دقة هذه المعلومات وان كانت ملفقه، ولكن نعلم انه تم الحصول عليها بالتعذيب الشديد حيث تم كسر عظام رجل المدعو احسان بالمطرقة.

. أُخْبِر الدكتور ابراهيم أنني لم أكن مشتبها به ولكن حدث أن كنت في المكان الخطأ في الوقت الخطأ. كان عليهم أن يأخذوني حتى لا تعرف عائلتي أن أخي قد تم القبض عليه من قبل رجال الامن. هذا لا يعني أنني كنت محصنا من السجن أو الإعدام. في بعض الأحيان قد تختار الحكومة قتل الشاهد لإخفاء الأدلة. ما أنقذني هو مركز والدي كجراح معروف وتدخل الطبيب إبراهيم الذي حصل على أمر من القصر الرئاسي بعدم تعريضي للتعذيب.

في الأيام التالية، تخلى والدي عن آماله واعتقد أنه لا يستطيع فعل أي شيء وعليه ان ينتظر المصير الغامض كما فعل من قبله والد صديقي في الكلية ماجد صادق.

وصل خبر اعتقالنا إلى سعد. لم يكن يدرك أنه الشخص الذي كانوا يبحثون عنه. كان يمشي بحرية في الشوارع. اتصل بأمي وأراد المجيء لرؤية أبي. أخبرته

ألا يفعل ذلك لأن منزلنا كان مراقباً من قبل عملاء الامن. طلبت امي منه الذهاب لرؤية والدي في عيادته.

ذهب سعد لرؤية ابي في العيادة. أخبره والدي أن عملاء الامن يلاحقونه وانه مطلوب. أخبره أن عليه ان يحاول الفرار من البلاد إذا كان متورطا في حزب سياسي.

على الرغم من أن سعد نفى أي انتماء سياسي، إلا أنني أعتقد كثيرا أنه كان في ورطة. ذهب واختبأ في منزل صديقه الذي أظن أنه كان زميلا في الحزب الشيعي الذي كانوا ينتمون إليه.

لم يكن سعد متدينا في طفولته لأنه لم ينشا في عائلة دينيه. كان متفوقا في دراسته في الثانوية وحصل على معدل جيد اهله لدخول كلية الطب. بدأت نشأته الدينية في الكلية حيث التقى بأصدقاء شيعه متزمتين كان يقودهم أحد اقاربنا الذي كان ضابطا في الجيش العراقي اسمه يوسف ابن الحجي رؤوف. كان لدى ابيه بستان في منطقة ابي غريب وكان يوسف يرتب سفرات الى ذلك البستان للشباب الشيعة ويستدرجهم للدين عن طريق تنظيم برامج ترفيهيه. بمرور الزمن غسل دماغ سعد فأصبح متدينا شديد التزمت، لا يصافح النساء ويدعو للصلاة والصوم. يرفض لعب الورق او الشطرنج باعتبارها محرمات فهي في نظره من أنواع القمار حتى إذا لم تلعب مقابل مال. هكذا أقنعه المعممون الذين كان يحضر خطبهم. كان سعد يجادل ابي وعمي سعيد في الدين. كان ابي وعمي ذوي فكر متحرر وتفكير علماني.

كان سعد لا يقبل الزواج الا من بنت متدينة وبالفعل فقد تزوج من بنت محجبة ومتزمتة دينيا بحيث انها كانت تلبس حجابا يسمى بالجبّه وهو حجاب واسع وسميك الى درجة انه لا يظهر أي ملامح لجسم المرآه كما انه يكون شديد الحر في الصيف. كانت المتزمتات دينيا يبررون لبسه بانه رغم كونه شديد الحر في الصيف الا انه ليس كحرّ جهنم! حسب عقيدتهنّ.

بدلا من ان يركز على قراءة كتب الطب عكف سعد على شراء الكتب الدينية فملأ مكتبتنا في البيت بكتب دينيه لا نفع فيها، بل ضررها مؤكد. كان سعد يصادق الشباب الشيعة المتزمتين فقط ولا يخالط غير المتدينين. كثير منهم اعتقل او أعدم بعد ذلك. رغم ان والدي حذره كثيرا بعدم التطرف او على الأقل عدم

المساس بالسياسة الا ان سعد كانت له أفكاره الخاصة ولم يستمع الى نصح الوالد.

كان سعد يستمد تعاليمه من المعممين فيتبع ما يأمرون به وينتهي عما ينهون عنه. كانت أفكاره وحياته تدور حول محور الدين.

استمر والدي في العمل في عيادته لأنه شعر أنه لا يستطيع فعل أي شيء أمام نظام لا يرحم.
أحد أعمامي اسمه صبيح الذي كان اخا والدي غير الشقيق وكان أصغر بكثير من والدي لكنه أكبر اشقائه جاء لرؤيته في العيادة عندما وصلته أنباء عن اعتقالنا.

قال لوالدي إنه لا ينبغي أن يلتزم الصمت. قال له ابي "ليس بيدي شيء ماذا تريدني ان افعل؟" اجابه عمي صبيح ان عليه ان يعلن للناس خبر اعتقالنا بدلا عن كتمانه.

كان لعمي صبيح خبرة لأنه هو نفسه كان سجينا سياسيا في مرحلة ما. كان عمي بعثيا سابقا، ولكنه لم يكن صدامياً وقد اعتقل بسبب انتقاده لوزير الداخلية آنذاك سعدون شاكر. قام صديق له بتسجيل كلامه على جهاز تسجيل سلمه الى سعدون شاكر نفسه فحبسه. لم يتمكن احد من اطلاق سراحه الا بعد ان طلبت عمتي مقابلة صدام فافرج صدام عنه لأنه انتقد الوزير ولم ينتقده شخصيا.

قال عمي صبيح لوالدي إنه إذا التزم الصمت واخفى امر الاعتقال، فستكون للحكومة فرصة أفضل لإعدامنا. من ناحية أخرى، إذا استخدم نفوذه كجراح معروف، فإن الحكومة ستفكر مرتين قبل أن تقرر اعدامنا.

من تاريخ الأحزاب السياسية في العراق كان عمي يعرف أن الحكومة قد تفقد ثقة الناس إن هم بدأوا يتحدثون عن إعدام أبناء جراح مشهور جدا من أوائل جراحي العراق.

قال عمي إن الأحزاب السياسية تلجا إلى استمالة شباب من عائلات معروفة فاذا أعدموا فإن الاحزاب الشيعية المتطرفة ستكتسب شعبية. في هذه الحالة إذا اعدمت الحكومة أولاد طبيب وجراح معروف سيصب ذلك في مصلحة الأحزاب الشيعية حيث سيكسبها شعبية.

استمع والدي إلى نصيحة عمي صبيح وأغلق عيادته وطلب من موظف الاستقبال أن يخبر أي مريض قادم أنه أخذ إجازة حيث تم اعتقال أبنائه والتهمه الموجهة هي الاشتباه في انتمائهم إلى أحزاب شيعية سياسية. اتصل بجميع الأصدقاء وأبلغهم باعتقالنا والتهم الموجهة إلينا وطلب منهم نشر الأخبار. كما أبلغ عمي جميع الأقارب والأصدقاء. بدأت الأخبار تنتشر بين الناس حتى وصلت هذه الاخبار الى آذان الحكومة ورؤساء الامن.

معظم الأشخاص الذين أعدمهم النظام كانوا من عائلات فقيرة. نادرا ما تسمع عن أشخاص مشهورين أو عائلاتهم يقتلون على يد النظام. وكانت إحداهن امرأة أرملة طبيبة أطفال شهيرة يدعى سلمان تاج الدين وكانت استاذه في الجامعة اسمها دكتوره سلوى البحراني. ساعد ابنها الطبيب سعد تاج الدين عضوا في حزب الدعوة في اغتيال ضابط امن. أوصل القاتل في سيارته التي تم رصد رقم تسجيلها. حاصر الامن منزله، ولكن عندما عاد ورأى رجال الامن محيطين ببيته هرب من مكان الحادث وفر مع زوجته إلى سوريا. احتجز الامن والدته دكتوره سلوى التي كانت صديقة لأمنة الصدر (بنت الهدى) وابقوها مدة 24 ساعة في مديرية الامن في القصر الأبيض ثم أعطوها شرابا من اللبن يحتوي على مادة سامة تسمى الثاليوم والتي تظهر اعراضها بعد فتره من تعاطيها بدءا من تساقط الشعر وتنتهي بالشلل التام والموت في غضون أيام بسبب اضراره للجهاز العصبي. لم يكن زوجها مشهورا فحسب، انما كان أخواها طبيبين معروفين، وكان احدهما الدكتور إحسان البحراني وهو طبيب قلب مشهور والأخر زهير البحراني وكان جراحا مشهورا، ولم ترغب الحكومة في أن ينظر اليها أنها هي التي قتلتها.

ذكر لي سعد ان الدكتورة سلوى لما ظهرت عليها اثار التسمم ادخلوها في مستشفى مدينة الطب في الطالق الثامن قسم القلبية والباطنية حيث كان اخوها الدكتور احسان البحراني مسؤول الردهة. عرف الدكتور احسان ان الحكومة قد سممتها وانه لا توجد فأئده من محاولة انقاذها. حاول اخي سعد الذي كان يعمل في قسم الكلية الصناعية الطابق السابع كمقيم اقدم مساعدتها وطلب من الدكتور احسان ان يسمح بإدخالها في قسم الكلية الصناعية لإجراء غسيل الكلى (Dialysis) . رفض الدكتور احسان طلب سعد لأنه كان يعلم ان أي محاوله لإنقاذها سيعرضه للخطر وقد يواجه نفس مصيرها. أخبرني سعد انه غضب على اخيها احسان وزجره قائلا "ان انت رفضت ان اعمل لها غسل الكلى

فستتحمل انت مسؤولية موت اختك". وافق احسان على مضض على طلب سعد فأجرى سعد جلسة غسل كلى اوليه لم تكن فعاله. أراد سعد اجراء جلسات غسيل كلى أخرى حتى يتم التخلص من السم في الجسم. رفض احسان طلب سعد بحجة ان الجلسة الأولى لم تنفع. نقلها اخوها الى ردهته في قسم القلبية وظلت هناك حتى ماتت. لا نستطيع ان نلوم الدكتور احسان لان الحكومة قد قررت مسبقا ان الدكتورة سلوى ستموت واي محاوله لإنقاذها من أي طبيب وان كان اخوها سيعرض الطبيب للخطر وربما الموت. ربما كان من الممكن انقاذها لو وافق احسان على طلب سعد اجراء جلسات غسيل كلى لأنها الطريقة الوحيدة من الناحية الطبية التي ربما كانت ستخلص الجسم من هذا السم. لكن الحكومة قد قررت مسبقاً انه لابد من تصفيتها.

استخدمت المخابرات طرقا مختلفة لتعذيب وقتل السجناء السياسيين بما في ذلك استخدام الحمامات الحمضية لإذابة ضحاياها. تعليق السجناء إلى السقف مع تقييد أياديهم إلى الخلف واستخدام قضبان كهربائية لصعقهم بالكهرباء أثناء تعليقهم. كثير من السجناء أصيبوا بخلع كامل في الكتف نتيجة التعليق وأصيب الاخرون بفشل كلوي بسبب الضرب والصعق المستمر الذي يسبب تدمير الخلايا العضلية.

الفصل الثاني عشر

داخل الزنزانة

مرت الأيام، ودخلنا شهر ديسمبر 1981. كان الطقس يزداد برودة. لم تكن هناك تدفئة داخل الزنزانة. تم تقاسم بطانية واحدة بين 4 سجناء. اعتدت على المشي داخل الغرفة جيئة وذهابا للتدفئة. بدأت في التكيف بعد فترة من الضيق الشديد والصدمة النفسية.

في البداية حاولت التوقف عن الأكل والإضراب عن الطعام لكن السجناء قالوا لي إذا فعلت ذلك فسوف يستخدمون القوة لإجباري على تناول الطعام لان رجال الامن إذا اكتشفوا أن أحد السجناء أضرب عن الطعام، يتم معاقبة الزنزانة بأكملها وتعذيب افرادها وسيتم أخذ الشخص نفسه وتعذيبه حتى الموت. ولم يكن الإضراب عن الطعام خيارا.

لم تكن هناك أدوات حادة أو أسلاك أو حبال حتى لا يحاول أي من السجناء الانتحار لتجنب التعذيب والاستجواب القاسي.
في ظل هذه الظروف كان عليّ أن أتأقلم مع الوضع لأنني لم أكن أعرف كم من الوقت سأبقى هناك وما إذا كنت سأخرج حيا أو ينتهي بي الأمر بالإعدام أو التعذيب حتى الموت أو قضاء بقية حياتي في السجن.

كان جميع زملائي في الزنزانة من الشيعة باستثناء واحد كان سنيا واتهم بتهريب رجل دين سني مصري وهو شيخ اسمه محمود غريب، كان امام جامع البنية ، الى خارج العراق. لم اعلم ما كانت تهمة الشيخ هذا حتى أصبح مطلوبا للحكومة.
كان أكثر المعتقلين من عائلات فقيرة، وكان معظمهم من المدن الشيعية الجنوبية.

في إحدى الليالي فتحت البوابة الحديدية دخل الحارس الذي كان يدعى يونس مصطحبا معه سجينا جديدا يدعى رشيد. كان رشيد شابا فقيرا من منطقة الأعظمية التي يقطنها أكثرية سنيه لكنه كان شيعيا. كان رجال الامن يبحثون عن شقيقه الذي يشتبه في أنه عضو في حزب الدعوة. أخذوه من منزله لأنهم لم يتمكنوا من العثور على شقيقه وأرادوا استخدامه كرهينة لجعل شقيقه يستسلم. بالطبع الأخ لن يفعل ذلك أبدا. بدأ الحارس يونس بركله وضربه داخل الزنزانة مما جعله يطير من جدار إلى آخر.

على الرغم من قيام يونس بضرب رشيد، إلا أنه كان شخصا لطيفا نسبيا. كان مجرد حارس للزنزانة ولم يكن مسؤولا عن الاستجواب او التعذيب، لذا كان واجبه هو حراسة زنزانتنا. كان يمرر لنا قطع من الصمون ليلا وسيجاره واحده للمدخنين يتهافت عليها المدخنون ليأخذ كل منهم نفسا واحدا ان حالفه الحظ.

أخبرني يونس أنه يجب أن يكون لطيفا معنا لأن الحال قد يتغير ويصبح هو في مكاننا ونحن في مكانه. كان من الجرأة أن يقول لنا هذه الكلمات.

في بعض الأحيان يأتي طبيب لمعرفة ما إذا كان لدى أي شخص شكوى طبية. كان هناك رجل من الشطرة (مدينة في الناصرية) مصاب بمرض السكري الذي يتطلب الأنسولين. زودوه بالأنسولين، ولكن بمجرد أن انكسرت زجاجة الأنسولين على أيدي الحراس لم يوفروا له بديلا ليوم او يومين. لحسن الحظ، لم

يصب بأذى. ابن الشطرة هذا كان يعرف أخي الأكبر سعد لان سعد عمل طبيبا هناك لمدة سنتين على الأقل قبل نقله إلى مدينة الطب في بغداد.

في الأيام التالية صادقني رشيد. كان ذكاؤه منخفضا قليلا. عندما جاء إلى الزنزانة طلب قلما وورقة وعندما سئل عن السبب، قال إنه يريد الكتابة إلى رئيس الجمهورية للشكوى من معاملة رجال الامن السيئة. سخروا منه وقالوا له "ألا تعرف من أتى بك إلى هنا؟ انه رئيس النظام نفسه" علمت فيما بعد ان رشيد قد انهار نفسيا وبدا بسب رجال الامن وبعدها فقد قواه العقلية فاخذ يسب رئيس النظام فأخذوه وقاموا بتصفيته جسديا.

بين الحين والآخر كان أحد عملاء الامن يأتي ويسألنا عن أسمائنا وانتماءاتنا السياسية. كنت تقريبا الشخص الوحيد بينهم ممن لم يكن عضوا في حزب البعث العربي. وكان معظم من في الزنزانة أعضاء في حزب البعث. بالطبع نحن نعلم أن الكثير من الناس لم يكن لديهم خيار آخر سوى الانضمام إلى الحزب للحصول على فوائد خوفا من الاذى. ومع ذلك، فإن كونهم أعضاء في حزب البعث لم يجعلهم في مأمن من الاعتقال أو السجن أو حتى الإعدام.

استمرت الأيام بنفس الروتين، نفس الإفطار والغداء والعشاء. نفس الأنشطة. كان السجناء يصلّون ويقراون الأدعية (سائلين ربهم أن يساعدهم) لكن كل عباداتهم وطقوسهم لم تكن ذات جدوى حيث لم يستجب من كانوا يستجيرون به الى دعائهم.

فقدت الأمل واعتقدت أن حياتي ستنتهي في مقتبل الشباب. شعرت بالأسف لأنني لم أغادر العراق عندما أتيحت لي الفرصة للقيام بذلك. جئنا إلى إنجلترا في عام 1970 ثم عام 1972 وحاولنا الاستقرار هناك في ذلك الوقت. لم يحصل والدي على وظيفة مناسبة في المملكة المتحدة وأصيب بالاكتئاب. لقد خذله أشخاص وثق بهم من قبل لقد استأمن أناسا على بعض ماله فسرقوه واخرون استقرضوا منه فلم يوفوا دينهم فأصبحنا في ضائقه ماليه لما اتينا الى إنجلترا
فشلت محاولاتنا للاستقرار في المملكة المتحدة في السبعينات.
ثم جاء فرصتان في الثمانينات كان أعظمها في عامي 1980 و 1981 عندما جئنا في عطلة إلى المملكة المتحدة ولكن والدي حال دون بقائي. الآن يجب عليّ أن أواجه العواقب.

كنت أتخيل الحبل يلف حول رقبتي. كان من السهل على عملاء صدام شنق الناس على الشبهات فقط ودون أي سبب وجيه.

كان السجناء يروون لي قصص عن التنظيمات الشيعية لم اكن اعلم عنها. أخبروني ان تنظيم حزب الدعوة هو تنظيم خيطي وهو ما يختلف فيه عن الحزب الشيوعي وحزب البعث الذين يتخذون طريق التنظيم الحلقي. في التنظيم الخيطي عندما يلقى القبض على عضو في الحزب سيعترف الشخص تحت التعذيب الذي لا يطاق على من هو اعلى وأدنى منه في الحزب فيتم ملاحقتهم فاذا فر احد منهما ولم يقبض عليه انقطع الخيط. اما التنظيم الحلقي فاذا اعتقل أحد افراد الحلقة سيعترف على من هم معه في الحلقة، ولكنه لن يعرف من هم الأعضاء في الحلقات الأخرى.

أخبرني السجناء عن الطرق الذين كان الامن يستخدمها للتعذيب. كان يؤتى بالمعتقل او المعتقلة عارياً تماما فتقيد يداه من الخلف ويعلق الى السقف بسلسلة حديديه ثم يستخدم الجلاد عصا كهربائية تم استيرادها خصيصا من بريطانيا حيث تستخدم لصعق الخراف قبل ذبحها. يقوم الجلاد بوضع العصا الكهربائية على الأجزاء الحساسة من جسم المعتقل او المعتقلة مثل الأعضاء التناسلية للرجال والثديين للنساء ويصعق فيقفز المعتقل الى الأعلى من الصعق فيسقط ويداه في الخلف فيصاب بعضهم بخلع جزئي او حتى كامل في الكتف ويستمر الجلاد بذلك حتى يوقع الشخص على اعتراف بانه عضو في حزب الدعوة المحظور ويطلب منه الادلاء بأسماء من هم معه في الحزب. في بعض الأحيان يضطر الشخص على التوقيع رغم عدم انتمائه للحزب لمجرد التخلص من العذاب. ثم يعترف على أناس لا علاقة لهم بالحزب أصلا.

هذا بالضبط ما حصل لأخي فقد ألقي القبض على طالب معه في كلية الهندسة اسمه احسان علي كريم تم تعذيبه باستخدام المطرقة حيث هشمت عظام رجله بالمطرقة فاعترف تحت التعذيب انه عضو في حزب الدعوة ثم اعترف كذبا ان اخي اديب معه في التنظيم وهو كذب وافتراء أراد بها التخلص من العذاب الشديد.

أخبرني السجناء أيضا ان البعض من المشتبه بهم يؤتى بزوجاتهم امامهم فيعلقن او يغتصبن حتى يعترف المشتبه به ويدل على رفاقه في الحزب ان كان هو

أصلا عضوا في ذلك الحزب. كان هناك رجال امن وظيفتهم "مغتصبون" أي انهم يؤتى بهم فقط لاغتصاب النساء او حتى الأولاد لاستنطاق المتهمين.
كان رجال الامن وبتأييد من رئيس النظام يتعمدون في تعذيب السجناء جنسيا وجسمانيا بالإضافة الى استخدام الالفاظ الجنسية النابية سواء للذكور او الاناث.
كان معنا في السجن كثير من الأولاد القاصرين الذين هم دون سن الثامنة عشر عاما من العمر.

كنا مقطوعين عن العالم الخارجي فلم يكن لدينا راديو او تلفزيون، ولكن كان الحارس يونس يجلب لنا أحيانا جريدةً محليةً وهي جريدة الثورة الناطقة باسم النظام البعثي الصدامي. في يوم وصلتنا الجريدة وكان فيها خبر ان القوات الإيرانية بدأت بالهجوم المعاكس ضد الجيش العراقي بعد ان كانت في موقع الدفاع وبدأت بالتقدم في الجبهة الجنوبية وبالذات في منطقة البسيتين حيث حررت مناطق حدودية كان الجيش العراقي قد احتلها. كان وقع هذا الخبر سيئا علينا لان أي خسارة لصدام في الجبهة من شانه ان يؤدي الى قيام عملاء الامن بالانتقام من المعتقلين الشيعة وقد يؤدي الى ان يقوموا بتعذيبنا او حتى اعدام قسم منا للانتقام للخسائر التي تكبدها في الجبهة.

في 15 ديسمبر 1981 وصلتنا الجريدة اليومية وفيها خبر اصابنا بالذعر الشديد. فقد تم تفجير السفارة العراقية في بيروت وسويت بالأرض بهجوم انتحاري.
والأسوأ من ذلك ان المتهم بهذا العمل هو حزب الدعوة. الشخص المتهم بتنفيذ العملية اسمه أبو مريم وهو شيعي عراقي. قتل في هذه العملية 61 شخص منهم السفير العراقي في لبنان وزوجة الشاعر نزار القباني.
توقعنا ان يدخل رجال الامن علينا ويرمونا بالرصاص جميعاً لكن الحمد لله لم يحصل ذلك.

أخبرني صديق كان معتقلا في مكان اخر انه في احد المرات حين خسر الجيش العراقي في احد المعارك مع ايران اخرج رجال الامن المعتقلين الى الساحة الخارجية واخبروهم بانهم سوف ينفذون بهم حكم الإعدام رميا بالرصاص واوقفوهم في الساحة استعداداً لأطلاق النار عليهم بالبنادق وعندما صدر الامر من الضابط بالرمي ضغط كل على زناده ولكن البنادق كانت فارغه. وكان هذا نوعا من التعذيب النفسي الذي استخدمه رجال الامن والمخابرات.

الفصل الثالث عشر

عشية عيد الميلاد 1981

كان 24 ديسمبر 1981 مجرد يوم روتيني مثل الأيام الأخرى. استيقظت وتناولت الإفطار. في حوالي الساعة 11 صباحا جاء شاب صغير من الامن وفتح الأبواب وسأل بشكل مؤدب من هو فريد؟ قلت هذا أنا.

قال جهز ملابسك؟ لم أكن متأكدا مما إذا كان سيتم استدعائي للتحقيق والتعذيب أو أي شيء آخر.

عادة إذا استدعوا شخصا للاستجواب، فلن يطلبوا منه ارتداء أي ملابس إضافية أو نعال لأنهم سيعذبونه عاريا بدون ملابس.
ولكن بما أنه طلب مني ارتداء ملابسي الكاملة وارتداء النعال فذاك امر يبشر بالخير ويشير إلى أنه ربما يطلق سراحي.

وضع عصابه على عينيّ حتى لا أرى أروقة وممرات دائرة الامن لان معرفة تفاصيل الممرات والأروقة قد يسهل عمل المعارضين السياسيين في حالة الهرب او فيما أرادوا التخطيط لاقتحام المبنى. عصب عيني دون ان يشده بقوة كما يستعملون مع المتهمين المشتبه بهم. تم نقلي إلى الطابق السفلي ونقلوني بالسيارة إلى مكتب قريب. كان هذا الشاب مهذبا وسألني عما إذا كان لدي أي سيارة أجبت عليه نعم تويوتا كورونا. تم خلع عصابة عيني ورأيت رجل امن آخر بدا شريرا جدا. لم أستطع التعرف عليه. سألني "من أتى بك إلى هنا؟". قلت "لا أعرف. كان هناك ثلاث أشخاص لا أستطيع تذكر وجوههم أو أسمائهم". كرر النظر إلي وسألني "من أحضرك هنا؟" قلت "لا أعرف". قال "إنا أحضرتك إلى هنا." في هذه اللحظة تذكرت وجهه الشرير. أنه النقيب عدنان اللعين الذي اعتقلنا. قال "إننا سنسمح لك بالعودة إلى المنزل الآن لترى اهلك." لم أصدقه كنت اعرف انهم كلهم كاذبون. أخبره الشاب المؤدب أن لدي سيارة تويوتا. أجاب عدنان "لا إنها ليست سيارته. يذهب وحده. " على ما يبدو، كانت سيارتنا تستخدم من قبل رجال الامن وقد هشموا جزءا من مقدمتها ونفذت شحنة بطاريتها.

قال لي "إذا أصررت على استعادة السيارة فسوف نعيدك إلى الزنزانة. " قلت له "لا أريد السيارة."

ثم أخذوني إلى مكتب آخر وجاء حلاق وحلق لحيتي الطويلة.
لقد حلقوا رأسي بالفعل قبل أسبوعين من قبل حلاق حلق رؤوس جميع السجناء.
لذلك كان شعري قصيرا جدا وهو أمر غير معتاد ان يكون شعري بهذا القصر وانا ولد شاب.

أخذوني إلى مكتب آخر ورأيت رجلا يجلس على مكتب. كان أبيض اللون بشعر بلون الزنجبيل يدعى المقدم زهير الذي كان رئيس الشعبة الخامسة المسؤولة عن الأحزاب الشيعية المتطرفة.
قال لي كيف حالك ارجو الا تكون متضجرا سنفرج عنك، ولكن لا تدع أعداء النظام يغرروا بك من وقد يرونك جهاديا تحارب حكومة كافرة." قلت له إنني لم أشارك في أنشطة ضد النظام ولن أفعل ذلك في المستقبل.

صافحني وأعطاني مساعده الملازم حازم رقم هاتف يطلب مني الاتصال به إذا أجرى أي من المتطرفين الشيعة اتصالات معي. وعدته بأنني سأفعل، لكنني كنت أعرف أنني لن أكون جاسوسا لهذا النظام المجرم.

في أعماقي قطعت عهدا على نفسي بأنني لن أختلط بأي شيعي متدين ولن أمارس أي طقوس دينية. بعبارة أخرى، منذ ذلك اليوم، قررت أن أكون غير متدين وعلمانيا تماما. لقد تخليت بالفعل عن الصلاة قبل عام من اعتقالي. الان أصبح هذا قرارا نهائيا لا رجعة فيه. لم اكن معتقدا بالدين اصلاً. الان تأكد لي ان الدين يستخدمه الانتهازيون للوصول الى غاياتهم الدنيوية في الصعود للسلطة والحصول على المال والجاه.

لقد أدركت ان الشباب الشيعي المتطرف كانوا يغسلون ادمغة الشباب الأصغر منهم للوصول الى غاياتهم. يقع الشباب الصغار ممن هم اقل خبرة في الفخ بينما ينجو الانتهازيون ويصعدون على اكتافهم. هذا بالفعل ما حدث الان وبعد مرور أكثر من 20 عاما وصل قادة الأحزاب السياسية في العراق الى سدة الحكم هؤلاء فروا من العراق في أواخر عهد البكر ولم يشهدوا يوما واحدا من بطش صدام بينما مات اصحابي الذين كانوا معي في الكلية مثل ماجد صادق او مالك السماوي تحت التعذيب او شنقا وصعد هؤلاء السياسيون على اكتافهم. لقد تأكد لي انهم كانوا يستخدمون الدين والمذهب وسيلة لأغراء هؤلاء الصغار التي لم تنضج عقولهم بعد. نعم ثبت لي ان التطرف الديني هو وسيله للوصول الى السعادة الدنيوية من جاه وسلطان ومال ونساء وغيرها من المنافع والشهوات.

أخذوني إلى المكتب المجاور حيث فوجئت برؤية والدي جالسا في مكتب نائب المقدم زهير واسمه النقيب علاء.
يبدو أن تدخل والدي نجح على الأقل في إطلاق سراحي من الحجز. كان بإمكانهم ابقائي في المعتقل فترة أطول ان أرادوا.
كان النقيب علاء قد اتصل بوالدي في اليوم السابق وطلب منه الحضور إلى مديرية الامن العامة في القصر الأبيض.
التقى والدي بالمقدم زهير الذي أخبره أنه سيتم إطلاق سراحي لأنه ليس لديهم دليل ضدي. كان المقدم زهير يظن أن والدي يعرف مكان سعد وأراد التفاوض معه على صفقة لإخباره بمكان سعد او تسليمه للأمن. قال والدي إنه لا يعرف مكان سعد، ولكنه وعده انه سيحاول التعاون معه، ولكن في أعماق نفسه قال "حتى لو كنت أعرف أنني لن أسلم ابني إلى المشنقة."

كان والدي يحاول إظهار التعاون لتأمين إطلاق سراحنا سالمين لكنه في الوقت نفسه لم يقدم أي معلومات قد تساعد رجال الامن في اعتقال سعد أو تعريض أي منا للخطر.

لقد كان والدي أبا صالحا بذل قصارى جهده لإنقاذ أبنائه دون المساومة على المبادئ او التعاون مع نظام صدام الإجرامي.

واجه والدي لاحقا المقدم زهير في مقابلة اخرى وقد توعد الاخير ابي لعدم ارشاده على مكان سعد وهدد بقتل أديب وسعد إذا اعتقلوا الأخير وهو يحاول الفرار. واجهه والدي وصرخ في وجهه قائلا "إذا قتلتهم، سأضمن عدم بقائك انت ونظامك في السلطة".

كما واجه والدي المقدم زهير قائلا "ليس لديك سلطة تنفيذيه لا تستطيعون اصدار احكام اعدام. هذه هي سلطة المحاكم. أنتم قسم تحقيق واستجواب ولستم دائرة قضائية". وفي مقابلة اخرى عرض المقدم زهير عليه اعترافات أدلى بها أديب اجابه والدي "أنك انتزعت هذه الاعترافات طريق التعذيب، وأنها اعترافات باطله". كان ابي شجاعا لا يخاف الطغاة وكان يقف بوجههم بكل شجاعة.

في مرة اخرى اتهم المقدم زهير والدي بالكذب لأنه حسب اعتقاده كان يعرف مكان سعد حيث قال زهير لوالدي "انت تعرف اين سعد. انت طبيب كيف تكون

طبيبا وتكذب؟" اجابه والدي بشجاعة "انا أقول لك والله أنى لا اعرف مكان سعد، ولكن كيف اقسم لكم وانتم لا تؤمنون أصلا بالله الذي انا احلف به" وكانت هذه شجاعة فائقة من والدي حيث اتهمهم انهم لا يؤمنون بالله وكانت بالفعل هي صفات البعثيين حين جاءوا للحكم اذ كتب ميشيل عفلق مؤسس هذا الحزب ان حزب البعث حزب علماني. كان كثير من البعثيين الأوائل ملحدين بيد ان الأمور تغيرت بعد مجيء الخميني فاستخدم صدام الدين وسيله لكسب السنّه في الدول العربية وداخل العراق لمحاربة الشيعة في العراق وإيران فاصبح يطلق على نفسه الرئيس المؤمن وامر البعثيين بممارسة الطقوس الدينية من صوم وصلاة وبالفعل فقد لاحظت ذلك. بين ليلة وضحاها أصبح كل البعثيين متدينين بأمر قائدهم.

الفصل الرابع عشر

لحظات الحريه

استقبلتني والدتي بالبكاء كما استقبلني الجيران بالورود والحلوى كان جيراننا مسيحيين وكانوا طيبين جدا. تحفظ أحدهم عن استقبالي كوني كنت في مديرية الامن العامة وكانت التهمه تتعلق بالأحزاب الدينية الشيعية. كان أكثر الناس يتوقعون اننا سنعدم لان المعروف عن الامن العامة انه لا يخرج منها احد سالما وان اكثرهم يعدمون اما بالتعذيب او يحالون الى محكمة الثورة فيحكمون بالإعدام.

كان اول ما فعلته هو التخلص من كل الكتب الدينية حيث احرقناها في الحديقة الخلفية حتى لا يرانا احد. كنا نمزقها ثم نرش عليها نفط ونشعلها بالنار استغرقت العملية ساعات طويله حتى تمكنا من احراق اخر كتاب ديني. لم يبق لنا أي كتاب ديني سوى القرآن. سالت ابي "هل نحرقه حتى ندفع الشبهة ولا ندع لصدام ورجاله مجالا للشك؟" اجابني ابي " ان أرادوا اعدامنا لوجود القران في بيتنا فليعدموني"

كانت الكتب الدينية تعود الى سعد واديب والتي دفناها في الحديقة ومنها كتب لمحمد باقر الصدر ومحمد مهدي الآصفي وكتاب اخر اسمه الحكومة الإسلامية للخميني. كانت هذه الكتب تطبع وتنشر في العراف بعلم وتشجيع الحكومة

البعثية حيث كان صدام معاديا لشاه إيران وكان قد اوى الخميني في النجف وسمح له بنشر كتبه وكان البعثيون يريدون اضعاف نظام الشاه عن طريق ترجيح كفة الخميني لكن حين صعد الخميني للحكم تغير الوضع وأصبح الخميني واتباعه وفكره اكثر خطرا بكثير من خطر وايديولوجية الشاه. هذه الكتب كان سعد قد اشتراها من مكتبات شارع المتنبي في السبعينيات حين كان الشاه في الحكم ولم يكن المتطرفون الشيعة يشكلون خطرا كثيرا على حكم البعثيين سوى في واقعه واحده حدثت في شباط عام 1977 حينما حدثت ما سميت انتفاضة خان النص وهي مسيره مناوئة للحكومة البعثية التي تحدى فيها الشيعة الحكومة حينما منعوا اجراء مسيرة الأربعين من النجف الى كربلاء وتم قصفهم بالطائرات واعتقال وقتل الكثير من المتظاهرين واعدامهم في محكمه صوريه حيث رفض الوزير الدكتور مصطفى عزت العاني السني والوزير جاسم فليح حسن (سني من ديالى) التوقيع على اعدامهم بينما وقع الوزير الشيعي البعثي حسن علي على قرار الحكم.

حاول أخي سعد الفرار من البلاد. طلب من شيخ عشيرة في الشطرة التي خدم فيها كطبيب قرى وارياف المساعدة لتهريبه خارج العراق. اتفق شيخ العشيرة مع مهرب لمساعدته على الهروب من الأهوار في الناصرية لكنه بدلا من ذلك سلمه إلى الحكومة في صيف عام 1982. حينما قبض على سعد في مديرية امن الناصرية بعث خبراً الى والدي يطلب منه المجيء الى الناصرية ومحاولة التوسط لإخراجه. ذهب والدي بصحبة صديقه الوفي طالب الحاج فليح (أبو عقيل) الذي كان أصله من الناصرية. اخذه أبو عقيل الى بيت أخيه في الناصرية الذي اخذه الى مديرية امن الناصرية حيث قابل مدير الامن هناك الذي أخبره بان سعد كان معتقلا عندهم لكن تم تسفيره الى مديرية امن بغداد. تعرض سعد للتعذيب وحكم عليه بالسجن لمدة 20 عاما حسب الفقرة 156 ب من قرارات محكمة الثورة أمضى منها 10 سنوات وأطلق سراحه بعفو رئاسي عام عن السجناء السياسيين في عام 1992. غادر البلاد رسميا إلى سوريا ثم إيران حيث اعتنى بالجالية العراقية الفقيرة في دولت اباد في طهران من الذين هجرهم صدام قسرا الى إيران. بقي هناك حتى الإطاحة بالدكتاتور في عام 2003 عندما عاد إلى بغداد. بعد عودته لم يسمح له بالالتحاق بالدراسات العليا في العراق بسبب كبره علما انه كان بعمر 54 سنه وان تأخره كان بسبب سجنه الذي دام 10 سنوات. اشتغل قي شعبة السجناء السياسيين في وزارة الصحة. توفي بنوبة قلبيه مفاجئة في يناير 2020.

تعرض أديب للتعذيب الشديد في مقر مديرية الامن مما تسبب في إصابته بفشل كلوي حاد وكان قريبا من الموت. قبل ان يغمى عليه جاءه طبيب الأمن فطلب اديب منه ان يساعده وقال له "انقذني يادكتور لاني ساموت". كان هذا الطبيب يعمل بأمرة الامن ورفض ان يساعده وقال له "فلتموت" فقال له اديب يجب ان تساعدني لان والدي طبيب مثلك قال له ما اسم ابيك فاخبره باسمه رق قلب الطبيب وبعدها اغمي على اديب ليستيقظ وهو يرى الطبيب يتحدث مع مدير الامن او المحقق قائلا ما لم تأخذوه للمستشفى فسيموت وحتى اذا نقلتموه فلا ضمان انه سيعيش. نقل اخي بعدها الى مستشفى الرشيد العسكري. وبعد تعافيه اعادوه لمديرية الامن. لقد انقذ هذا الطبيب المجهول اخي من الموت.

تمكن والدي رؤية اديب في دائرة الامن حيث رتب له عميل امن اسمه وليد الدره عرفه عليه عمي صبيح لقاء معه. كان وليد قد طلب من مدير الامن فاضل البراك ترتيب اللقاء. كان وليد الدرة رجلا انتهازيا قام بابتزاز والدي واخذ مبالغ ماليه طائلة منه. كان زوج المذيعه سهاد حسين وكانت امرأة طيبة وقد اعتقلت لاحقا بتهمة انتقاد صدام وتخلى عنها زوجها وليد.

رفض اديب التوقيع على اعتراف تحت التعذيب يعترف فيه بأنه عضو في حزب الدعوة الشيعي المحظور. حكم عليه وفقا للمادة 2/200 بالسجن لمدة 10 سنوات قضى منها 4 سنوات وأطلق سراحه بعفو رئاسي سنة 1985 ليتم إرساله إلى خط المواجهة في الحرب مع إيران.

من الجدير بالذكر ان الفقره 2/200 من قرارات محكمة الثورة سيئة الصيت هي فقرة أصدرت لغرض معاقبة الشيعة الذين لم تثبت عليهم تهمة الانتماء الى حزب الدعوة ولكن هناك شكوك في ولائهم للنظام . تنص الفقرة ان كل من يثير الفتن الطائفية يحكم بالسجن 7 سنوات لكن المضحك ان الفقرة هذه تطبق على الشيعه فقط وكأن أصحاب المذاهب الأخرى بضمنهم النظام نفسه لا يثيرون الفتن الطائفية.

في كل الأحوال كان كثير من أصدقاء اديب سنّه وكانوا يكنون له الود والاحترام. انها تهمه جزاف فحسب القصد منها ابقاؤه في السجن لأسباب احترازية.

بعد خروجه من السجن فر اديب من شمال العراق مع زميل كان معه في السجن إلى إيران ثم إلى سوريا ثم انتهى به المطاف في أوروبا. اكتشفت الشرطة

العسكرية أنه فر من الخدمة العسكرية الى خارج العراق. وداهمت الشرطة العسكرية بيتنا في عام 1987 وطلبوا من والدي الحضور الى مقرهم. استعنت بزميلي في المدرسة الثانوية وسام عبد العزيز الذي صادف أنه كان ضابطا في الشرطة العسكرية فوقف مع والدي أثناء الاستجواب وسانده. أرادوا معرفة مكان أديب لكن والدي أنكر أي معرفة ولم يعترف. اراد المحقق وهو ضابط برتبه اعلى من صديقي وسام استنطاق والدي قسرا لكن وقوف صديقي وسام معه منعه من ذلك. من الجدير بالذكر ان صديقي وسام كان سنيا من الموصل لم أكن ابداً طائفياً. كان أصدقائي خليط من السنّه والشيعة المسيحيين. بعضهم لم اعرف مذهبهم لأني لم اسالهم اصلاً.

بعد إطلاق سراحي من مديرية الأمن العامة في القصر الأبيض، عدت إلى كلية الطب وركزت على دراستي. على الرغم من الإجهاد والتوتر النفسي الذي تعرضت له بسبب السجن، كافحت بشدة وثابرت واجتزت السنة الرابعة ولكن اضطررت إلى إعادة مادتين في الدور الثاني بعد صيف عام 1981 حيث لأول مره قضيت الصيف في الدراسة لتعويض ما فاتني والنجاح.

كان لوالدي الفضل في دعمي معنويا، نجحت في ذلك العام رغم جميع الظروف. لم يزودني الامن برسالة إلى جامعتي للسماح لي بتأجيل امتحاناتي على أساس الاعتقال والسجن. لم يكن اعضاء اللجنة الطبية الجامعية متعاونين ورفضوا منحي تأجيل امتحان منتصف العام بعد إطلاق سراحي من الحجز. حاول صديق والدي دكتور أحمد صميم الصفار الذي كان عميدا سابقا لكلية الطب مساعدتي في تأجيل امتحاناتي، لكن الطبيب القاسي محمد مصطفى عزت والجراح معد مدحت رفضا طلبه. لم يرغبوا في أن ينظر إليهم وهم يساعدون سجينا سياسيا شيعيا مشتبها به.

أخذني والدي إلى اتحاد الطلاب وكان رئيسها غسان عدنان (الذي توفي لاحقا في حرب العراق وإيران) متعاونا. وعدني بمساعدتي في العودة إلى دراستي. طلب من زميلة تدعى كوثر كانت من اتحاد الطلاب مساعدتي وكانت متعاونة حيث اعطتني المحاضرات التي فاتتني والتي قمت بتصويرها وإعادتها.

رفض طلاب آخرون المساعدة لأنهم كانوا قلقين من أنهم كانوا يساعدون خصما سياسيا مشتبها في كونه شيعيا متطرفا.

كان العديد من الطلاب حذرين من التحدث معي خوفا من تجريمهم بسبب مصادقة معتقل سياسي.

توقف أصدقاء عائلتنا وأقاربنا عن رؤيتنا أو الاتصال بنا لأنهم كانوا خائفين من أن تضطهدهم الحكومة.

كان منزلنا قبل هذا الحادث مليئا بالزوار، ولكنه أصبح مهجورا انقطع عنه الزائرون من الأقارب والأصدقاء الا ما ندر.

اكتشفت أن صديقي المقرب مالك السماوي اعتقل مع ابن عمه نعيم وزميل شيعي اسمه سمير من أهالي الحلة واخر اسمه سالم مشكور ولم يعرف مصيرهم أبدا. أعتقد أنهم انتهى بهم المطاف في إحدى المقابر الجماعية التي وجدوها بعد سقوط الديكتاتور. قد المني كثيرا فقدان صديقي مالك.

تم القبض على صديق اخر في صفي طيب جدا يدعى مناضل صبري من قبل الامن في صيف عام 1981. وحكم عليه بالسجن لمدة 10 سنوات من قبل رئيس المحكمة الثورية الشرير مسلم الجبوري. قال لي مناضل حين قابلته في سجن ابي غريب انه طلب من مسلم الجبوري الرأفة به لأنه كان طالبا متفوقا واراد ان يكون طبيبا يخدم بلده العراق، ولكن مسلم المعروف بإجرامه اجابه ان العراق لا يرحم الخونة. كانوا يتهمون كل من يعارض الحكم الاستبدادي الدكتاتوري بانه خائن وعميل وان البعثيين الموالين لمن سموه القائد الضرورة هم وحدهم الوطنيون المخلصون للوطن.

التقيت بمناضل في السجن أثناء زيارتي لأخي ورأيت وصفي أيضا. أمضى مناضل 4 سنوات في السجن وأطلق سراحه بعفو من الديكتاتور. سمعت فيما بعد أنه لم يسمح له بالعودة ومواصلة دراسته الطبية ونتيجة لذلك أصيب بصدمة لم يتحملها أدت الى قيامه بالانتحار.

أطلق سراح وصفي من السجن في عام 1985 بعفو عام. لحسن حظه تم إعفاؤه من الجيش بسبب قصر بصره ثم ذهب للعمل في التجارة وأصبح ثريا جدا. كان لوصفي تأثير سيء على الشباب غير الناضجين في جرهم الى التزمت الديني والمذهبي والسياسي. لم أكن متفقا معه بسبب شخصيته وتأثيره السيء على

الاخرين وقد وقفت بوجهه في مواقف كثيره. تمنيت ان التقي به لا عاتبه على ما تسبب به من اضرار للشباب الذي غرر بهم.

الفصل الخامس عشر

بعد خروجي من المعتقل

حرصت على الابتعاد عن كل من هو شيعي متزمت. في نفس الوقت كان كثير من الطلاب يخافون التحدث معي خشية ان أكون موضوعاً تحت المراقبة او خشية ان يكون الامن قد أطلق سراحي لمعرفة من سيتصل بي حتى يقبض عليه. أي كان البعض كان يظن انني كنت طعما لاعتقال المشتبه بهم من حزب الدعوة وهو اعتقاد نابع عن جهل وقلة دراية فقد قال احد البعثيين لابي ان الامن لو كان لديهم ادنى شك بي لما اطلقوا سراحي. فمجرد دخولي في مديرية الامن شهرا كاملا معناه انه تم تمحيصي واختباري بشكل تام بحيث لا يترك مجالا للشك في خلوي من أي ارتباط سياسي.

في عام 1982 في 24 مايو تمكنت القوات الإيرانية من تحرير مدينة خرمشهر في عمليات اطلق عليها اسم بيت المقدس قادها ضابط في الجيش الإيراني اسمه علي صياد شيرازي. لقد كان هذا الضابط محنكا وكان على خلاف مع قائد الحرس الثوري محسن رضائي الذي لم يكن خريج كليه عسكريه، ولكنه صعد عن طريق الحرس الثوري الذي كان سندا للمعممين. ربما كان تدخل الضباط العسكريين الإيرانيين من ذوي الخبرة هو ما غير مجرى الأمور. تغير الوضع الان لصالح إيران بعد ان كانوا في حالة دفاع. كنا نتأمل ان يؤدي ذلك الى وقف الحرب الا ان ذلك لم يحدث لان الاحقاد الشخصية بين صدام والخميني كانت تدفع الطرفين لإدامة الحرب حتى يسقط أحدهما الاخر وكان الشعبان يدفعان ضريبة هذه الأحقاد.

كان بإمكاني السفر في صيف عام 1982 ولكن لم استطع ترك اهلي في هذه الظروف الصعبة ومصير اخي اديب غير معروف. لم أكن شخصا انانيا يفكر بنفسه فقط والا لكنت تركت العراق ولجات الى أوروبا مثلا.

تم إحالة اديب لمحكمة الثورة بعد عام وحكمه مسلم الجبوري بالسجن عشر سنوات. كان توسط ابي هو ما انقذ اديب من الإعدام فقد تمكن من الوصول الى احد أعضاء المحكمة وهو القاضي داود التكريتي ووعده خيرا الا انه طلب منه

عدم المجيء الى بيته ثانية خوفا من ان يتعرض للأذى رغم كونه تكريتيا. ذهب ابي الى محكمة الثورة يوم مرافعة اديب، ولكن لم يسمح له بالدخول ولما رجع لسيارته وجد ان الامن قد أفرغ اطاراتها من الهواء عقابا له لذهابه هناك. لم يسمح لأهالي المتهم بالحضور للمحكمة ولم يسمح للمتهم بتوكيل محامي فقد حاول ابي توكيل محامي صادف انه من أقارب صدام اسمه محمود الصعب ان يترافع عنه الا انه رفض. عينت المحكمة له محاميا صوريا رغم ذلك طلب المحامي معاقبة اديب بتهمة التستر بدلا من تهمة الانتماء الى حزب الدعوة كمحاوله لتخفيف الحكم. يبدو ان مسلم الجبوري وقاضياً اخر قررا حكمه بالإعدام الا ان داود التكريتي رفض الحكم باعتباره جائرا وهدد بمغادرة المحكمة هنا تدخل الاخران لإرضائه وتخفيف الحكم الى السجن سبع سنوات.

في اليوم التالي ذهب ابي الى بيت داود التكريتي فرفض مقابلته وخرجت زوجته لتخبره ان الأمور تبشر بخير الا انها طلبت منه عدم المجيء ثانية فهم والدي ان اديب قد حكم عليه بالسجن وليس الاعدام.

كان هناك شيخ عشيرة في الإسكندرية في أطراف بغداد اسمه الشيخ عبد المنعم الرشيد كان والدي يعالج زوجته سابقا حتى شفيت من مرض مزمن. كان مدينا لوالدي وكان ابنه خالد مستشار في القصر الجمهوري. لقد ذهبنا اليه ووعد بان يطلب من ابنه المساعدة لكن ابنه رفض أي تدخل في قرارات محكمة الثورة لأنها حسب ادعائه محكمه مستقله ونحن نعلم ان هذا كلام هراء. لقد اعتذر ابوه عن موقف ابنه وغادرنا المكان فقال شيخ العشيرة عبد المنعم ابقوا معنا للغداء اجابه والدي "لم اتِ عندك طلبا للطعام" وغادرنا.

هكذا تغيرت الظروف فقد كان الشيخ يأتي بزوجته الى ابي لعلاجها من مرض التدرن المزمن وكان والدي يجري لها كل ما بإمكانه حتى شفيت وهكذا كان جزاء الاحسان.

كان السجناء بعد الحكم يوضعون في اقسام مغلقه في قسم الاحكام الخاصة في سجن ابي غريب. هذه كانت في بداية ممر السجن لا توجد فيها نوافذ وحينما تدخل فيها تظن انها جدران ممر ولا تظن ان هناك سجناء خلف الجدران. هؤلاء كانوا ممنوعين من زيارة أقاربهم وموضوعين تحت المراقبة الشديدة من رجال الامن فلا يتكلمون بينهم الا اذا سمح الامن لهم. كان الكثير منهم يصابون

بأمراض مثل التدرن ويموتون داخل السجن. الرعاية الطبية معدومة فالأمن لا يهمهم ان هم ماتوا بسبب المرض او نقص الغذاء.

في عام 1983 اخرج اديب من الأقسام المغلقة الى الأقسام المفتوحة وسمح لنا بزيارته. كنا نزوره كل أسبوعين. كان هناك قطعه كبيره في المدخل مكتوب عليها "وما ظلمناهم ولكن كانوا انفسهم يظلمون" كان حراس السجن يتفننون في إهانة الزوار فكاوا يتعمدون ادخالنا من مدخل بعيد جدا عن الأقسام الخاصة حتى نمشي مسافه طويله تقرب من كيلومتر ونحن ندفع عربة تحمل قنينة غاز نجلبها لاديب حتى ستخدمها للطبخ لانهم لم يوفروا لهم ذلك. كان هناك باب خارجية قريبة جداً من الأقسام الخاصة وهي اقسام السجناء السياسيين، لكنهم لم يفتحوها ليجبرونا على الذهاب الى باب بعيدة قرب الأقسام الثقيلة التي كان نزلاؤها من مرتكبي الجرائم الكبرى، حيث كانت الباب الرئيسية للأقسام الخاصة مطلةً على الشارع العام وكانت الحكومة تخاف ان يرى الصحفيون الأجانب تجمهر الناس على هذه الباب اذا صادف مرورهم على الشارع الرئيسي فيأخذون فكرةً عن العدد الكبير للسجناء السياسيين. كانوا في بعض الاحيان يعتدون بالضرب او الاهانات على الزائرين.

صادف ان لقينا الدكتور المشهور هادي السباك اخصائي الكسور في قسم الاحكام الخاصة الا ان تهمته كانت اقتصاديه وليست سياسية لأنه لم يكن متدينا او له علاقه بأحزاب سياسيه. لقد أعدم أخو زوجته لأسباب اقتصادية. كان محظوراً على أي شخص تحويل أمواله الى الخارج باستثناء صدام وعشيرته. كل من يثبت انه حول أمواله الى الخارج يحكم بالإعدام حيث يعتبره صدام تدميرا للاقتصاد العراقي. هذه قوانين العراق في ظل صدام انه كان يكتب القوانين بنفسه فيحلل لنفسه ما يشاء ويحرم على الاخرين ما يبيحه لنفسه.

في احد الأيام اثناء زيارة اديب كان هناك سجين مجاور يبدو انه أصيب بمرض نفسي من شدة السجن وكان أولاده وزوجته في زيارة له فطلب من أولاده الذهاب قبل امهم لأنه كان يريد التحدث الى زوجته. بعد ان ذهب الأولاد اخرج سكينا طعن به زوجته عدة طعنات حتى ماتت. لقد أصيب الرجل بحاله نفسيه شديده جعلته يشك في ان زوجته كانت تخونه فقام بهذا العمل.

كان ابي يقول ان الناس في أوروبا يذهبون الى نيس وكان وغيرها من الأماكن السياحية أيام العطل، اما نحن فقد كتب لنا ان نقضي عطلنا في سجن ابي غريب.

لقد استمرت زياراتنا لأديب حتى خروجه من السجن عام 1985 تمكن بعدها بفتره من الفرار عن طريق الحدود التركية من مدينة دهوك الى خارج العراق برفقة زميله في السجن نزار. الشخص الذي ساعدهم في الخروج من العراق كان ضابطا في الجيش العراقي وكان معهم في السجن حيث اعتقلوه بعد ان قاد فوجاً من الجيش العراقي في معركة احتلال خرمشهر في بداية الحرب لكن ذلك لم يشفع له فبمجرد خطا بسيط اودع السجن. كان قصة هذا الضابط مثيره للاهتمام. لقد قاد هذا الضابط جنوده في معركة احتلال خرمشهر عام 1980. قام احد جنوده برفع صورة للخميني كانت ملصقه على جدار ورميها على الأرض والدوس عليها بقدميه. قال له الضابط "لا داعي لهذا العمل" اخبر الجندي عن الضابط وتم اعتقاله بتهمة اعتراضه على إهانة الجندي للخميني. كان محظوظا انه لم يعدم فهذه في زمن صدام جريمة يعاقب عليها الشخص بالإعدام.

أوصل هذا الضابط اديب وزميله نزار بسيارتنا الفولكس واجن البرازيلية الى دهوك ثم عاد بالسيارة وتركها في نهاية شارعنا ومفاتيحها في داخلها وفر الى بيته خائفا ان يكون قد راه احد. لقد جازف هذا الضابط بحياته اذ لو اكتشفوا امره لأعدموه خصوصا انه سجين سياسي سابق.

لحسن الحظ كان بعض الناس لايزالون محتفظين بالروح الإنسانية والشجاعة ونكران الذات وهذا بالضابط تمتع به هذا الضابط الشجاع الذي لا اذكر اسمه للأسف.

الفصل السادس عشر

تخرجي من كلية الطب

تخرجت عام 1984 من كلية الطب وخدمت في مستشفيات بغداد. كان يتم تنسيبنا لمدة أسبوع الى مستشفى سجن ابي غريب.

التقيت هناك بالعقيد احمد زيدان وكانت قصته غريبه. لقد كان هذا الرجل يأتي لزيارة طبيب المستشفى كل يوم وعرفت انه كان قائد قوات المحمرة (خرمشهر) عندما حاصر الإيرانيون خرمشهر عام 1982 عند تحريرها امره صدام بالبقاء في مكانه والقتال حتى اخر جندي. لكن العقيد زيدان عرف انها ستكون كارثة

ستؤدي الى مقتل الاف الجنود العراقيين فأجرى اتصالات عن طريق اللاسلكي مع القادة العسكريين الإيرانيين طلب منهم السماح له بالخروج مقابل استسلام الجيش المحاصر. وافق الإيرانيون على طلبه وخرج من المدينة دون ان ياسروه. استسلم الجنود بعدها بالآلاف، اتهمه صدام بالخيانة وحكمه بالإعدام الا ان توسط عشيرته ال خربيط من الانبار لدى صدام أدى الى تخفيف الحكم لعشرين سنه ثم اطلق سراحه بعد بضعة سنوات. كان كثير من الضباط يتهمون بالخيانة او التخاذل لا لشيء انما لخسارتهم في معركة امام هجوم إيراني. كان صدام لا يؤمن بان الحرب فيها ربح وخسارة. كان ينظر الى حربه انها دائما رابحه ولم يتقبل أي خسارة ولاغرابة في ذلك فهو لم يكن عسكريا ولم يدرس يوما واحدا في الكلية العسكرية انما منح نفسه رتبة مهيب (مشير) ركن بين ليلة وضحاها.

بعد ان يعدم ضباطه الذين خسروا المعركة وعندما يهدا كان يعفو عن الضابط المعدوم ويرد له اعتباره ويعتبره شهيد حرب. هكذا كان سيكون مصير العقيد احمد زيدان ان كان قد أعدم لكنه كان اوفر حظا لان وراءه عشيرة تسنده.

كان يطلب مني احياناً أيام عملي في مستشفى سجن ابي غريب فحص نزيل او اخر في الأقسام المغلقة. هؤلاء كانوا لا يعطوننا أسماءهم انما يعطى لهم رقم حتى لا نخبر اهاليهم بوجودهم في السجن. كانوا يعطوننا تعليمات مشدده بعدم ارسالهم الى مستشفى الا بموافقه خاصه من مسؤول الامن هناك.

مر عليّ سجناء من التبعية الإيرانية هؤلاء لم يكونوا أصلا محكومين أي انهم كانوا محتجزين في السجن دون قرار من محكمه لمجرد كونهم من التبعية الإيرانية. جاء بعضهم الى العيادة وعالجتهم. قال لي أحدهم "نحن لا نعلم لماذا نحن محجوزون هنا فلسنا متهمين او محكومين". لم اعرف ماذا اجيبه. ان تعاطفت معه بالكلام سأعاقب. نظرت الى الأرض وانا عاجز عن الكلام ليتني كنت أستطيع ان أقول له "هذا ظلم من السماء للأرض" ولكن لم أقدر ان أقول ذلك لان هذا سيكون جنونا وسيكون فيه القاء نفسي في التهلكة.

بعثت على اخي اديب احاول مساعدته صحيا. أجريت له بعض الفحوصات مثل فحص الدم للاطمئنان على صحته. طلبت من طبيب الاسنان الخاص بالسجن ان يعالج اسنانه نظر الينا وقال "انه يشبهك تماما هل هو اخوك؟" خفت ان اكشف ذلك قلت له "لا ليس اخي لكنه معرفه قديمة واريدك ان تساعده". تعذر هذا الطبيب بان العيادة ليس فيها ابر مخدر موضعي للأسنان. تعجبت من قوله

وكذبه. إذا لم يكن هناك مخدر موضعي في العيادة فما فائدة تواجد طبيب الاسنان؟ هل يقبض راتبا ليتفرج على اسنان السجناء؟ ام هل كتب على هؤلاء السجناء ان يحرموا من ابسط حقوقهم وهو حصولهم على رعاية طبيه اساسيه؟

الفصل السابع عشر

الخدمه العسكريه

عام 1985 اجبرني النظام للالتحاق بالعسكرية وتم ارسالي الى جبهات القتال الى ما اطلق عليه الدكتاتور اسم "قادسية صدام" لقد تم ارسالي الى جبهات متعددة كان أولها في القاطع الأوسط في جصان ثم القاطع الشمالي في السليمانية وأخيرا في القاطع الجنوبي.

في عام 1986 احتل الإيرانيون شبه جزيرة الفاو واعترف عدنان خير الله وزير الدفاع ان الامريكان أعطوا العراق معلومات مضلله عن تواجد قطعات الجيش الإيراني. يعتقد ان الامريكان كانوا يرغبون في ادامة زخم المعركة فكانوا يرجحون كفة العراق تارة وكفة إيران تارة أخرى.

تعرضت لمواقف خطره قصف مستمر يومي ومعارك. كان أخطر موقف تعرضت له حينما رميت عليّ قنبلة يدويه لكني نجوت بأعجوبة بإصابة طفيفة لشظيه في رجلي كما نجا الضابط الكردي آزاد الذي كان معي في الملجأ الا انه قتل بعد فتره وجيزة على يد المسلحين الاكراد المعارضين والذين كان النظام يطلق عليهم اسم العصاة او المخربين.

كنت في وحدة ميدان طبيه في قلعة دزه وكنا ننطلق من كركوك في قافله ونسير بين الجبال والوديان في طرق خطره كان المسلحون الاكراد المعارضين يختبئون في الجبال ويحاولون اقتناص الفرصة لضرب القافلة العسكرية. في يوم التحقت بالقافلة فاخبروني انه في اليوم الذي قبله هاجم المسلحون الاكراد القافلة وضربوها بقنابل الهاون. لم يخبرونا بحجم الخسائر لكن يبدو انهم استدعوا طائرات هليكوبتر لصد الهجوم ونجت القافلة.

كنت على قمة جبل في السليمانية والايرانيون امامي مسافة 200 متر والمسلحون الاكراد خلفنا. قتل الكثير من الجنود والضباط الذين كانوا معي. كان

الصعود الى قمة الجبل محفوفا بالمخاطر لان الطرق كانت ضيقه ومغطاة بالجليد الذي يكون زلقا. بالفعل فقد زلق جنديان وسقطا من اعلى الجبل الى الوادي ولم يتمكنوا من اخراج جثثهم الابعد يومين.

لقد تعمد النظام ارسال الأطباء لمواقع متقدمة جدا في الخطوط الأمامية لرفع معنويات الضباط والجنود. كذلك عرف صدام بكرهه للأطباء اما لانها شريحة مثقفة من المجتمع وهو لا يملك ثقافة سوى ثقافة القتل والاجرام.

لقد قتل الكثير من الأطباء في جبهات القتال منهم نعمه محمد حسين وهو طبيب من دورتي قتل في معارك الفاو عام 1985 واخر اسمه غسان عدنان وكان رئيس اتحاد الطلبة في الكلية وقد قتل في مستشفى البصرة العسكري بشظية في راسه.

بالإضافة للأطباء الذين قتلوا في المعارك اقدم صدام على اعدام أطباء اخرين كان على راسهم وزير الصحة الدكتور رياض إبراهيم الحاج حسين العاني وكان سنيا وبعثيا وقد اتهمه صدام كذبا بانه استورد ادويه أدت لوفاة جرحى "القادسيه" وهذا كذب لان الحقيقة ان صدام استدعى وزراءه وقال لهم ان ايران ترفض إيقاف الحرب الا اذا استقال صدام من الحكم وكان بذلك يختبرهم، رفض الجميع استقالته باستثناء الدكتور الشجاع رياض إبراهيم الذي قال "فكره جيده ان تستقيل فتره قصيره لإيقاف الحرب ثم ننتخبك من جديد". قام صدام بأطلاق الرصاص عليه من مسدسه.

أعدم صدام طبيب الجلدية الشهير الدكتور إسماعيل التتار مع زميله طبيب الأطفال هشام السلمان بسبب نكته تحدث بها إسماعيل وضحك عليها هشام وقام الشخص الثالث بتسجيلها وارسالها الى صدام شخصيا فامر بإعدامهما.
يذكر ان التلفزيون الرسمي العراقي اذاع خبرا مفاده ان الطبيب الشهير إسماعيل التتار تم ضبطه يمارس اعمالا لا أخلاقية في عيادته وانه تم عقابه دون ان يذكر انه أعدم. كلنا يعلم ان الدكتور التتار طبيب مهني لا يمكن ان يقوم بعمل مخل بالشرف في عمله وعيادته. لم يكتفِ النظام بإعدام هذا الطبيب الذي خدم الشعب وعالج الكثير من الناس بكل مهنيه انما أراد تلويث سمعته وهذا هو ما تعود صدام على فعله. انه كان يلصق التهم جزافا على من يعاديه او ينتقده حتى يبرر فعله.

تمم تسميم الدكتور الأستاذ ضياء الموسوي وكان استاذنا في الطب العدلي وكان معروفا بانتقاده للسلطة وقد كان ينتقدهم في محاضراته التي كان يلقيها لنا. لقد اتهموا طالبه بتسميمه بمادة السيانيد وضعته في مشروبات غازيه قدمتها لهم في يوم من أيام الصيف الحار. شرب ضياء القنينة في لحظات ثم صاح لأصحابه "لا تشربوا. هذا الشراب مسموم". نحن نعلم ان للحكومة يد في ذلك. فكيف لاي شخص الحصول على مادة السيانيد؟ انها كانت خطه مدبره فهذه ليست اول مره يسمم بها النظام معارضيه.

شهدت بعيني كيف كان النظام يتعامل بوحشيه مع الجرحى الاسرى من الإيرانيين والمسلحين الاكراد.

في يوم من الأيام جاؤوا بضابط إيراني مصاب بشظيه في راسه الى مستشفى السليمانية العسكري حيث كنت اعمل هناك كطبيب عام 1987 وكان فاقداً للوعي تماما. ترك في جانب دون ان يجروا له أي علاج جراحي او فحوصات شعاعيه. لم يسمح للأطباء بمعالجته. حينما أشرف على الموت جاء رجال الاستخبارات العسكرية يريدون اخذه الى مقر الاستخبارات لاستنطاقه، رفضت ذلك وذهبت للتحدث الى امر المستشفى وكان عقيدا طبيبا في الجيش من عائلة الطائي. كان سنيا من الموصل. طلبت منه باسم الإنسانية ان يمنع نقل الجريح الى مديرية الاستخبارات. لم تأخذه أي رحمه، بل أنذرني بعدم التدخل والاعتراض. لم يكن بيدي شيء. أدركت ان البعثيين الصداميين لا يملكون ذرة من الرحمة هكذا علمهم رئيسهم.

في عام 1987 ادرك الغرب انهم لابد ان يسندوا صدام بالسلاح لإيقاف ايران لان الجيش الإيراني ظل يحاول احتلال البصرة دون جدوى وكان في موقف مهاجم طيلة الوقت.

في مارس 1988 احتل الإيرانيون مدينة حلبجه فقصفها صدام بالسلاح الكيمياوي وكان مهندس العملية علي حسن المجيد ابن عم صدام الذي اطلق عليه لقب علي الكيمياوي. استخدم العراق غاز الخردل وغاز الاعصاب التابون والسارين والفي اكس. قتل ما يقارب ستة الاف مدني بين نساء وأطفال في لحظة واحده ولم يتمكنوا من الهرب. أصيب 10 الاف بجروح لم يكن رد الغرب على استخدام السلاح الكيمياوي رادعا للعراق اكتفى الغرب بإنذار نظام صدام الذي وعد بالتوقف عن استخدامه على لسان وزير خارجيته طارق عزيز والذي كان حلقة

الوصل بين الغرب وصدام. لم يتوقف صدام عن استخدام السلاح الكيمياوي. يذكر ان طارق عزيز هو ابن عم الطيار العراقي الخائن منير روفا والذي هرب بطائره عسكريه من طراز ميغ 21 الى إسرائيل عام 1966 وكان طارق عزيز يلتقي به سرا لدى سفراته خارج العراق حسبما سمعت. كانت خيانة هذا الضابط هو احد أسباب خسارة العرب في حرب 1967 حيث تمكن الخبراء الامريكان والإسرائيليين من معرفة نقاط الضعف والقوه لهذه المقاتلة السوفييتية التي كانت متطورة جدا آنذاك بعد ان سلمها الطيار منير روفا لهم.

استمر العراق في استخدام السلاح الكيمياوي ضد إيران والاكراد وبدأت كفة المعركة ترجح جانب العراق حتى تمكن العراق من استعادة الفاو بفترة لم تتجاوز يومين.

اسقطت سفينة أمريكية طائرة ركاب مدنيه إيرانية فوق الخليج انطلقت من ميناء بندر عباس متجهة الى دبي في الامارات أدت الى مقتل 290 راكبا. ادعى قائد السفينة الأمريكية انه ظنها طائرة عسكريه إيرانية تنوي مهاجمته. هذا الادعاء يدعو للسخرية لان أمريكا لديها تقنيه وخبره تمكنها من التمييز بين الطائرات المدنية والعسكرية.

زود الاتحاد السوفياتي العراق بصواريخ سكود متطورة مكنته من قصف طهران واصفهان ادعى صدام ان هذه الصواريخ محلية الصنع من صنع التصنيع العسكري الذي كان يتراسه حسين كامل وهو زوج بنت صدام وكان يطلق على الصواريخ اسم صاروخ الحسين والعباس وذلك اذلالا للشيعه حيث سماها بأسماء تعتبر مقدسه لدى الشيعة.

بين عام 1986 و 1989 بدأت حملة الانفال التي استهدفت الاكراد وتم تهجيرهم وتهديم قراهم وسرقة أموالهم وممتلكاتهم. لقد كنا آنذاك في شمال العراق وكان امرنا ضابطا طبيبا برتبة رائد اسمه علي الياسري قام بسرقة بقره من القرى الكردية وبعثها داخل سيارة اسعاف مغلقه حتى لا تكتشف لدى نقاط التفتيش العسكرية الا ان البقرة بالت وخرج بولها من السيارة واكتشف امرها. اعيدت البقره الى الحكومة لانها أصبحت من غنائم الدولة ولم يحاسب الآمر، لقد اعتبرت الحكومة كل ممتلكات الاكراد واموالهم حلالا وكأنها غنائم حروب أيام الغزوات الإسلامية والفتوحات.

لقد شهدت بعيني جراراتٍ للجيش العراقي تهدم بيوتا واسواقا للمدنيين الاكراد في مدينة قله جولان وقتها كنت اتحدث الى صيدلي اسمه قيس كان معروفا بدعابته قلت له لماذا يجرفون الأسواق هذه؟ اجابني بروح السخرية "هذا هو العراق العظيم" كان بذلك يستهزئ من رئيس النظام الذي كان دائما يكرر في خطاباته "هذا العراق العظيم"

كانت الحرب مصدر رزق لكبار الضباط والامراء فقد اعتاد بعض الضباط ومنهم امرنا علي الياسري على اخذ رشاوى من الجنود مقابل منحهم اجازات. ضباط اخرون كانوا يستفيدون من البنائين وأصحاب الحرف فيعطون الجنود اجازات مفتوحة ومقابل ذلك كانوا يقومون ببناء بيوتهم مجانا وفي نفس الوقت ينجو الجندي من الحرب والموت. وعدا المال والخدمات اليدويه كان بعض الضباط يمنحون اجازات لجنود مقابل خدمات جنسيه حيث يجلب الجندي للضابط امراه قد تكون قريبه له او مومس ويوفر للضابط مكانا امنا ليمارس رغبته الجنسية. اذكر ان جنديا في وحدتنا لا اذكر اسمه كان يقدم الخدمات الجنسية من نساء ومكان امن لكبار امراء الفرقة لقاء حصوله على اجازه مفتوحة او لضمان بقائه في مكان آمن بعيد عن الجبهة.
كان الضباط الدائمون في الجيش جميعاً من البعثيين فقد حرص صدام ان يكون جيشه عقائدياً يؤمن بأهداف حزب البعث وينشر أفكاره. كل ضابط غير بعثي او يشك في ولائه او ولاء اقاربه لحزب البعث يفصل من الجيش.
لقد كان لآمرنا الطبيب النقيب علي الياسري ذا مواقف غير مشرفة. لم يكتفِ باخذ الرشاوى من الجنود بل أراد أيضا ابتزاز المرضى والجرحى لاخلائهم. لقد اخلّ بشرف المهنة ولكن لا غرابة في ذلك فهو بعثي موالي للطاغية.
ارسلنا يوما في مفرزة طبية الى موقع متقدم في الجبهة وكان بصحبتي سائق اسعاف ونائب ضابط مضمد خليل وهو تركماني من كركوك وكنا نسميه أبو مراد. لقد كان مصابا باكتئاب شديد فقد كان يستيقظ مبكراً ويبكي ويقول" لماذا بعثوني للجبهة؟ هل توقعوا اني سآتي لهم براس الخميني؟ وكان يقول " لو كان بيدي مسدس لأفرغته في راسي" لقد أدركت انه مصاب باكتئاب شديد. ذهبت الى الامر علي الياسري وطلبت منه ان يسحبه من المفرزة المتقدمة ويرسله الى طبيب نفساني للعلاج. لا يصح ابقاؤه في الجبهة ،انه مريض. حدثت الآمر عما قاله أبو مراد من انه يريد ان يقتل نفسه ان كان له مسدس. ضحك هذا الضابط البعثي علي الياسري وقال لي بسخرية "ان كان يريد مسدسا لينتحر فسأعطيه مسدسي". استغربت من قوله. هذا طبيب يفترض فيه ان يحترم القسم الطبي الذي

ادّاه لدى تخرجه، لكن يبدو ان حزب البعث الصدامي قد جعل من هؤلاء الضباط وحوشا لا رحمة لديهم.

لقد كان الكثير من الضباط يعلنون صراحة انهم لا يرغبون في انتهاء الحرب ففي ذلك نهاية لما يمكنهم الحصول عليه من مال ومشاريع وملذات وجنس.

انتشر البغاء في العراق حيث لجات الكثير من زوجات " شهداء الحرب" او الاسرى لممارسة البغاء لإطعام اولادهن. لقد كان صدام يشير في خطاباته الى النساء العراقيات بالماجدات والحرائر وإذا به قد اجبر الكثير منهن على ممارسة البغاء بسبب مقتل معيلهن في حروبه المجنونة. في بداية الحرب كان يعطي لعوائل من اسماهم "شهداء القادسيه" تعويضات سخية لكن حينما طالت الحرب ونفذت خزينة الدولة لم يكفِ ما كان يعطيه من تعويضات حتى لتغطية نفقات الدفن. لقد ملأت قطع القماش السوداء بيوت العراق ففي كل شارع تجد قطعة قماش اسود علق على جدار بيت كتب عليه " الشهيد البطل فلان ابن فلان استشهد في القاطع الأوسط او الجنوبي او الشمالي" وحين تمشي في شوارع بغداد تجد سيارات تحمل نعوشاً. أصبح ذلك مظهراً طبيعيا في ظل هذا النظام المستبد. لقد امتلأت مقبرة وادي السلام في النجف بجثث قتلى الحرب او "شهداء قادسية صدام" كما كان النظام يسميهم. كان غالبية الجنود المشاركين في الحرب هم من الشيعة اما الضباط فكان اكثرهم من السنّة ولاسيما من مدينة الموصل. اما قادة الفرق والفيالق فكانت حصرا على السنّة حيث لم يسمح للشيعة للوصول الى رتب عالية.
قيل لنا في بداية الحرب ان بعض أصحاب خير الله طلفاح، خال صدام، سألوه عن جدوى الحرب ومغزاها فأجابهم "لم نفعل شيئاً، لقد أطلقنا على ايران كلابهم" لقد كان خير الله معروفاً بطائفيته فلا غرابة منه ان يقول قولا كهذا.

كان رئيس النظام يظهر يوميا على شاشات التلفزيون لعدة ساعات وهو يزور بيوتا او جوامع او اضرحة. كان بعض الناس يطلب منه اعفاء أبنائهم من الحرب لكنه كان يجيبهم "اذا رأيتم يوما ابني عدي لم يخدم في الجبهة عندها سأعفو عن ابنكم من الخدمة في الجبهة" مرت الأيام واذا بعدي يعفى من الخدمة. لقد حصل على معدل 99.9٪ في كلية الهندسة المدنية (علما انه لم يداوم حتى شهرا واحداً فيها). لقد أصدر وزير التعليم العالي قرارا يعفى فيه الطلبة الثلاثة الأوائل من أي كلية من الخدمة. كان عدي يتحدث وكأنه خبير في الهندسة المدنية ومرة أخرى هو خبير رياضي ورئيس اللجنة الأولمبية العراقية. كان معروفاً بمجونه لقد

سمعنا الكثير عما كان يفعله بالبنات في نادي الصيد حيث كان عندما يعجب بفتاة يبعث حمايته لجلبها اليه وان رفضت عوقبت هي وأهلها. سمعنا انه كان يذهب الى مدينة الاعراس ويقوم باغتصاب العرائس ليلة زفافهن قبل ان يسلمها الى عرسانهن. اقدم بعضهن على الانتحار. لم يكن يكترث لشيء كان ذا شخصية سادية.

الفصل الثامن عشر

حرب المدن

بدأت حرب المدن بين العراق وإيران بشكل متقطع بين عام 1987 و1988 كان صدام يقصف فيها مركز طهران واصفهان وشيراز وتبريز كانت إيران تقصف مصافي الدورة في بغداد فتسقط على البساتين المجاورة دون احداث خسائر بشريه تذكر.
استمر حرب المدن بين العراق وإيران وكان صدام يستهدف المواقع المدنية في طهران ليلا لأثارة الرعب بين سكانها. تحولت طهران الى مدينة اشباح. كانت الصواريخ الإيرانية اقل تأثيرا من مثيلاتها العراقية فقد كانت إيران تطلق صواريخها باتجاه مصفى الدورة فتسقط في البساتين المجاورة للمصفى دون احداث اضرار.

بعد ان ركز صدام على قصف طهران واصفهان وتبريز وشيراز بالصواريخ بدأت إيران باستهداف مركز بغداد لأول مرة.
سقط صاروخان أحدهما في المنصور حوالي اقل من كيلومتر عن بيتنا قتل فيها عدد من المدنيين. كنت وقتها جالسا مع صديق في حديقة نقابة الأطباء عندما دوى صوت الانفجار. هرعت للبيت وظننت انه قد أصاب بيتنا وجدت اهلي سالمين وحمدت الله على سلامتهم. لم يكن موقع سقوط الصاروخ بعيدا عن بيتنا. نجا جارنا ماجد ابن الشماس يعقوب حيث دمر الصاروخ ورشة نجارة تابعة له لكنه خرج منها قبل ساعة او ساعتين. سقط صاروخ اخر في منطقة المسبح قتل فيها عدد من المدنيين. كانت نسبة الصواريخ العراقية الى الإيرانية 3 الى 1 فكل ثلاث صواريخ عراقية تطلق على طهران او أصفهان تقابل بصاروخ واحد إيراني. ربما لم يكن لدى الإيرانيين عدد كبير من الصواريخ بسبب الحصار المفروض عليها بينما كان كلا المعسكرين الغربي والسوفياتي يزودان صدام بالسلاح. كانت إيران تفتقد للقوه الجوية بسبب سقوط اكثر طائراتها بداية الحرب

كما كان محظورا عليها شراء مقاتلات بينما زودت فرنسا العراق بطائرات ميراج متطورة.

انتهت الحرب العراقية الإيرانية يوم 8 أغسطس 1988 وقد عاد كل طرف الى الحدود التي كان عليها قبل بدء الحرب. قتل مليون او مليونان من الطرفين جرح واعيق الملايين وفقد الكثيرون ولم يعرف مصيرهم ان كانوا أسرى ام قتلى هجر الكثير من الناس فقد الكثير من الناس مصدر رزقهم لان معيلهم قد قتل او فقد او اسر. اضطر بعض النساء بيع اعراضهن بسبب الفقر لإطعام اطفالهن.

الم يسال احد عن مغزى هذه الحرب؟ ماذا استفدنا منها؟ لقد رجعنا الى نفس الحدود السابقة قبل بدئها. لم يتمكن صدام من اسقاط الخميني لابل ان نظامه قد قوي لان الشعب قد اتحد لمحاربة من بدأ بغزوه. قبل الحرب كان الإيرانيون متفرقين كانت المعارضة تحاول اسقاط النظام. الان ثبت المعممون حكمهم. لقد وحدت الحرب التي شنها صدام الإيرانيين باختلاف ميولهم واتجاهاتهم. لم يكن المعممون في إيران يهتمون بالخسائر البشرية بقدر اهتمامهم بتثبيت قواعد حكمهم.

فرح الناس لوقف القتال لكن لم يكونوا على علم بما كان في انتظارهم. لم يتم تسريح الجيش مباشرة كان الملايين من الشباب في الجيش ولم يرغب النظام تسريحهم اما لغرض تحضيرهم لحرب أخرى او للإظهار للعالم ان الجيش العراقي قوي بالعدة والعدد وان تعداده بالملايين.

الفصل التاسع عشر

حرب الكويت

تم تسريحي من الجيش عام 1989 بعد نهاية الحرب بسنه . كانت هذه فرصه ثمينة لترك البلد. مرة أخرى تدخل والدي واثبط عزيمتي عن الخروج من البلد. كان الأطباء هي الفئه الوحيدة الممنوعة من السفر كان علي ان افعل مثل ما فعل بعض أصدقائي او زملائي مثل صلاح بحر العلوم او فيصل الدره او منذر لقد كان لديهم أقارب في أمريكا وبريطانيا اما انا فلم يكن لي سند . كان والدي ملتزما بالقانون ويخشى من أي عمل غير قانوني. كان عليّ ان ادعي أني كاسب او عامل حر للخروج من البلد والحصول على جواز وهذا ما عمله الاخرون

سرا اما ابي فاستشار صديقه مالك الهنداوي وهو قاَضي تحقيق. طبعا قاضي التحقيق سوف يعطي مشوره ضمن القانون.

أخبرني مالك الهنداوي ان انتحال شخصية عامل تعتبر جريمة قانونيه واذا كشفت ساحاكم بالسجن عشر سنوات او غرامة عشرة الاف دينار او كليهما. اما اذا كان هو المترافع في قضيتي فسيحكمني بالغرامة وحدها. كان خطأً من والدي ان يستشير قاضيا، بل كان يفترض ان يستشير مهربا او شخصا عاديا.

في 2 أغسطس عام 1990 غزا صدام الكويت ومنع السفر واغلق الحدود. أدركت مدى الخطأ الذي ارتكبته لعدم تركي العراق فقد وصل أصدقائي صلاح وفيصل الى أمريكا اما انا فقد اضطررت للالتحاق بالعسكرية لخدمة مطامع الدكتاتور.

في 14 أغسطس 1988 بعث صدام رساله الى هاشمي رفسنجاني يخاطبه "السيد الرئيس علي اكبر هاشمي رفسنجاني المحترم، رئيس جمهورية ايران الاسلاميه..... قررنا مايلي الموافقه على طلبكم باعتماد اتفاقية عام 1975 .."ثم يقول" اصبح كل شيء واضحا وبذلك تحقق كل ما اردتموه وما كنتم تركزون عليه..." ثم يردف قائلا" في ظل حياة جديده يسودها التعاون في ظل مبادئ الإسلام"
يا لسخرية القدر بالأمس كان يقول عن رفسنجاني المعمم الاملط وعن الخميني بالخرف وعن الفرس بالمجوس. الان أصبح رفسنجاني الأخ الرئيس واصبح الفرس مسلمين بعد ان كانوا مجوسا. انها لمهزلة ليس مثلها مهزلة.

اما ملك السعودية فهد فقد اصبح يطلق عليه صدام اسم "خائن الحرمين" وحسني مبارك رئيس مصر اصبح يطلق عليه اسم "حسني الخفيف". يا عجبي هل هذه الالفاظ تصدر من شخص يفترض به انه رئيس دوله ام هي الفاظ يستخدمها رؤساء العصابات؟
علق حسني مبارك على تسمية صدام له بالخفيف " انا الخفيف ام هو الذي يمشي على الحصان والعساكر تمشي وراه؟" وهو يشير الى موقف مثير للسخرية لصدام يمتطي حصانا يمشي به في شوارع بغداد ويمشي حراسه خلفه ويعرض نفسه على شاشات التلفزيون.

كان والدي يعمل في عيادته الكائنه في كرادة مريم على بعد بضع كيلومترات من القصر الجمهوري. كان رجال الامن وحماية القصر يحاولون اغلاقها بين الحين والأخر الا انه كان يكون علاقات جيده مع دائرة بجانبه فيها موظفون حزبيون متقدمين في درجاتهم الحزبية فكان يعالج مرضاهم مجانا. في يوم أغلقت الدائرة، ثم جاءت قوة من الامن او حماية القصر واعطوه إنذارا لأخلاء العيادة في أسبوع. كانت حجتهم قربها للقصر الجمهوري. حقا انه امر عجيب في بلد لا يوجد فيها قانون الا شريعة الغاب. أصبحت عيادة طبيب كبير السن مصدر خطر للقصر! ماذا كان يدور في عقول هؤلاء الحمقى من رجال الدولة؟ هل كان والدي بتقدم سنه سيجعل من عيادته منطلقا لمهاجمة قصر محصن محوط بالحرس والحماية ويبعد عنه عدة كيلومترات؟ هل وصل الخوف لدى النظام لهذه الدرجة انهم بدأوا يخافون من ظلهم؟

اجبر والدي على اخلاء العيادة وحتى اغراضها وأجهزتها لم يستطع بيعها لان المهلة المعطاة لم تكن كافيه فخسر ما فيها من معدات واثاث.

استدعيت للخدمة في نوفمبر 1990 وارسلت الى وحدة ميدان طبية في الحبانيه. فرضت الأمم المتحدة حصارا على العراق بسبب غزو الكويت. بدا الحصار يؤثر على الناس.
اذكر عندما كنت في وحدة الميدان الطبية في الحبانيه انهم بدأوا بتقنين الطعام والشراب. قالوا لي انه يحق لي شرب قدح واحد من الشاي في اليوم فأما اشربه صباحا او ظهرا او مساءاً. اخترت ان اشربه صباحا خشية ان ينفذ قبل انقضاء اليوم.

جلبت معي بضع بيضات مسلوقات خشية ان ينقطع الطعام يوما فآكلها. بعد فتره رغم برودة الجو تلفت البيضات وتعفنت فاردت رميها. قال لي احد الجنود "دكتور لاترمِها . اذا لم تكن لك رغبة في اكلها فاعطِها لي اكلها" قلت له اني أخاف على صحتك لأنها تالفه" قال لي" لا تخف فان معدتي تتحمل أي شيء حتى التالف" اكلها الجندي امامي ولم يحدث له شيء.

تم تقنين المواد الغذائية. كنا نقف طوابير لساعات طويله للحصول على بضعة خبزات. أصبح البنزين شحيحا رغم ان العراق هو منتج ومصدر للنفط. قام بعض الناس بملئ خزان وقود السيارة بمادة الكيروسين بدلا من البنزين. لقد تبين اننا كنا نعتمد على الغرب في تصفية البترول فالمواد الأولية للتصفية معدومة.

انقطعت الأدوية بما في ذلك البسيطة منها مثل حبوب الاسبرين او الباراسيتمول او المضادات الحيويه. فرغم ادعاء النظام ان مصنع الأدوية في سامراء قادر على انتاج جميع الأدوية لكن يبدو ان المواد الأولية كانت كلها تأتي من الخارج. لم يكن بإمكان العراق انتاج حتى برغي فكيف به يدعي انه كان يصنع صواريخ ارض ارض اسماها صواريخ الحسين والعباس؟ لقد ادرك الشعب بما في ذلك البسطاء منهم ان النظام كان يكذب عليهم عندما كان يقول انه قادر على صنع اسلحه او معدات عسكريه او مدنيه. لقد ثبت انه عاجز عن صنع ابسط الأشياء.

بدأت الحرب يوم 16 يناير 1991 كانت الطائرات الأمريكية B52 تقصف مواقع قريبه منا كما قصفت بغداد ودمرت محطات الكهرباء والتلفون فانقطع الكهرباء والاتصالات الهاتفية. دمرت جسور في دجله منها جسر الجمهورية والصرافيه. كان معنا طبيب في وحدة الميدان كان يصاب بالهلع عندما تأتي طائرات ال B52 وكان يبكي من الخوف.

أعلن صدام كعادته موافقته على الانسحاب من الكويت مقابل شروط خياليه مضحكه. لقد طلب تعويضات من قوى التحالف على الاضرار التي الحقتها به وان تقوم ببناء ما دمرته من بنى تحتية. وطلب من الكويت ان تتنازل عن أراضٍ وحقول نفط. كان الرد الأمريكي صريحا وواضحا وهو " الانسحاب غير المشروط" كان صدام يختبئ من بيت الى اخر ولا يبقى في مكان واحد فتره طويله خشية استهدافه. لقد وعد انه لن يعطي امرا بالانسحاب من الكويت وانه سيحلق شاربه ان هو انسحب.

انتهت حرب الكويت في 28 فبراير 1991 بهزيمه مخجله للجيش العراقي فقد اعطى صدام امرا خاطئا بالانسحاب من الكويت دون اخذ راي المستشارين العسكريين مثل بارق الحاج حنطه وهو ضابط برز اسمه في الحرب العراقية الإيرانية وكان بعثيا مواليا لصدام ومطيعا له وحصل على لقب بطل القادسية. لقد كان انسحاب الجنود العراقيين من الكويت غير المنظم خطأً عسكريا فادحا عرض الجنود للقتل. فقد قصفت الطائرات الامريكية الجنود الفارين من المعركة. نعم لقد ارتكب الجيش الأمريكي اعمالا وحشية ومنها قصف ملجأ العامرية والتي راح ضحيتها المدنيون الأبرياء. لكن لا ينكر ان مغامرات صدام المجنونة هي التي أدت الى هذه الكوارث.
فقدت بعض الأصدقاء في الحرب كانت الجثث ملقاة على الجسر الرابط بين الكويت والبصرة وعلى طول الطريق المؤدي الى البصرة. غضب بارق على

قرار صدام دون التنسيق معه. كان بإمكان بارق ان يرتب انسحابا منظما يضمن حياة الجنود المساكين الذي اجبروا للمشاركه في الحرب. أدى هذا الخلاف بين بارق وصدام الى استدعائه من قبل صدام واعدامه مع ضابط اخر اسمه كامل ساجت. هذه هي عقوبة من يخالف أوامر "القائد"

الفصل العشرون

انتفاضة الشيعه والاكراد

أدت هذه الهزيمه الشنيعه في حرب الكويت الى انتفاضة الشيعه في الجنوب والاكراد في الشمال تم قمع الانتفاضة الشيعية بوحشيه حيث سمح الامريكان لصدام باستخدام مروحياته لقصف الشيعة. رغم ان الرئيس الأمريكي جورج بوش الكبير هو من دعا العراقيين للثورة الا انه تخلى عنهم لأنه ادرك ان البديل سيكون حكماً إسلامياً على غرار نظام الحكم في ايران.

أرسلت وحدتنا الى العمارة لقمع انتفاضة الشيعة هناك بقيت انا في الحبانيه مقر وحدتنا. حكى لي الأطباء الذين ذهبوا هناك انهم شاهدوا عزت الدوري نائب صدام يقود العمليات العسكرية لقمع الشيعة في العمارة وقد استعمل اقسى الوسائل. التحقت بالوحدة في العمارة وشاهدت حجم الدمار الذي سببه جيش صدام. في مرة أوقف شبان من الامن حافله مدنيه واخرجوا منها ثلاث شابات اعتقلوهن دون غيرهم من الركاب الذكور. لم تظهر عليهن أي ملامح تدل على انهن ممن شاركن في الانتفاضة حتى انهن لم يكن محجبات أصلا. هكذا أصبح حال العراق يعتدون على اعراض النساء لمجرد ان هذه المحافظة انتفضت على حكم الدكتاتور.

تم ارسالنا في مقدمة القطعات المتوجهة الى الشمال لقمع الانتفاضة الكردية لكننا فوجئنا بان الاكراد قد انسحبوا تماما من ديارهم خوفا من انتقام صدام واستخدام السلاح الكيمياوي ضدهم كما فعل في حلبجه سابقا في عام 1988. استقرينا في المركز الطبي في كفري. قام الضباط والجنود بسرقة ونهب محتويات المستوصف الحكومي هذا فضلا عن نهب ممتلكات وبساتين الاكراد الذين فروا من المنطقة. لقد فوجئت برؤية صديقي وهو طبيب يسرق جهازا طبيا يضعه في حقيبته. كان الجنود صائمين لأننا كنا في رمضان لكنهم كانوا يفطرون على طعام

قاموا بسرقته من البساتين العائدة لأهل المنطقة الاكراد. هل ترى ان الإسلام هو من علمهم على ذلك؟ ام هل اعتبروها من الغنائم كما في عصر الفتوحات؟

مرة أخرى هاجم الامن بيتنا بالرشاشات بينما كنت انا في وحدتي العسكرية. كانوا يبحثون عن اخي اديب.

يا لجهالتهم الم يعرفوا ان اديب قد ترك العراق قبل أكثر من 4 سنوات. لقد كانوا يبحثون عن كل سجين سياسي شيعي سابق ظنا منهم انهم ربما اشترك في الانتفاضة الشيعية. لقد وجهوا البنادق على امي واختي وهددوا بقتل كل من في البيت. صرخت امي بوجههم وقالت "أنتم لا تخافون الله ولا تملكون ذرة رحمه او انسانيه انتم تطيعون اسيادكم طاعة عمياء ولا تستخدمون عقولكم لتفكروا ان كان عملكم صحيحا". قالت لهم ان اديب مفقود منذ فترة طويله ولانعلم له اثرا. طبعا تكتمت امي على ان اديب كان قد وصل أوروبا. كان اديب يبعث لنا رسائل باسم مستعار حتى لا يكتشف الامن مكان وجوده. ربما اثار كلام امي بعض المشاعر عند عميل الامن هذا الذي كان شابا فقال لها "اعذريني فانا عبد المأمور" ثم خرجوا. اعجبتني الشجاعة التي واجهت بها امي عملاء الامن رغم انهم كانوا مدججين بالسلاح لكن السلاح لم يخفها.

هرع جارنا عبد القادر وأبو احمد الى بيتنا بعد خروج عملاء الامن للاطمئنان على اهلي. كانت النخوة العراقية لاتزال حاضره فقد قادتهم الشهامة ان يأتوا للاطمئنان على اهلي. ورغم انهما كانا من السنّه لم تكن الطائفية مستفحلة بين الناس فقد وقف الكثير من السنّه معنا في شدتنا وربما أقول اكثر بكثير من الشيعة وقد يعود ذلك الى ان الشيعة كانوا اكثر تخوفا من السنّه.

تم تسريحي من الجيش بعد هزيمة جيش صدام بأيام . اشيع ان قوات التحالف اجبرته على تسريح جيشه وإبقاء اقل عدد من الجنود حتى لا يكون بمقدور صدام شن هجوم اخر على الكويت. لقد كانت اجتماع خيمة الصفوان بين الفريق سلطان هاشم وهو ضابط سني من الموصل والعقيد الامريكي نورمان شوارتسكوف اكبر اهانه لصدام وجيشه لقد قال سلطان لشوارتسكوف "نعم نعم نعم" لكل الشروط التي فرضها عليه الامريكان دون ادنى نقاش. كل ما كان يريده صدام هو البقاء على كرسي الحكم.

الفصل الواحد والعشرون والأخير

الحريه اخيرا

تم فتح السفر الا للأطباء لقد كتب عدي في الجريده الرسمية " سنفتح السفر حتى تخرج الكلاب السائبة وتذهب الى البلدان القذرة التي ستأويهم" حسب وصف عدي فقد كان من عادة عدي ان يستخدم هذه الالفاظ المقذعة. هذه المرة لم استشر ابي، بل ذهبت الى دائرة الجوازات وكتبت اني عامل اهلي وحصلت على جواز سفر كتبت عليه المهنة "عامل اهلي" لقد اجبروني على ان أوقع على تعهد الا اراجع أي سفارة عراقية في الخارج ان وقعت في ضائقة لأنها لن تكون مسؤوله عني ان نفذت اموالي او اصابتني مشكله. لم يسمح لنا بان نحمل معنا اكثر من 300 دولار. كل دول العالم المتحضر تهتم برعاياها ان اصابتهم مشكلة في الخارج الا العراق فقد تبرؤوا منا. على اية حال لم يهمني ذلك اردت الخروج من العراق باية طريقة حتى ان كانت غير شرعية.

خرجت من العراق الى غير رجعه يوم 9 يونيو 1991 . وصلت نقطة الحدود العراقية وانزلونا من الحافلة مع حقائبنا. لقد كنت خائفا من ان يكتشف المفتش أنى طبيب فيقبض علي ويعيدني او يسلمني للامن او ان يكتشف اني كنت احمل اكثر من الحد المقرر من المال المسموح بإخراجه فيصادر المال الذي لن يكون كافيا لي في رحلتي الطويلة. أفرغ المفتش حقيبتي وكان فيها كتبي الطبية وسماعه وحتى شهادة تخرجي. كنت لابسا بدله ورباط وكان ذلك خطأً مني اذ كان عليّ ان اظهر في هندام عامل بسيط كما هو مكتوب في جواز السفر. سالني المفتش "ماهو شغلك؟" ابتسمت وقلت له "عامل" ضحك المفتش الذي رمى كل ما في حقيبتي من ملابس على الأرض للبحث عن دولارات ربما كنت قد اخفيتها في الحقيبة لم يجدها. لقد اوصتني امي ان اقرا بصمت " وجعلنا من بين أيديهم سدا ومن خلفهم سدا فأغشيناهم فهم لا يبصرون" وقد عملت ما قالته لي امي حرفيا فقراتها بصمت. لا أدرى ان كان هذا ما اغشى عينه ام ان الحظ الذي طالما كان بعيدا عني قد قرر أخيرا ان يكون بجانبي. لم اكن أتصور موقفي وانا في الأردن بدون مال أعيش به. لا اعلم كم سيطول بقائي في الأردن لابد لي من بعض المال لاني لم اطلب مالا من احد في حياتي. لن اتسكع في شوارع عمان ولن انزل كرامتي واطلب مالا من احد صديقا كان ام غريبا.

جمعت اغراضي ووضعتها في حقائبي. انطلقت بنا الحافلة فتوقفنا في نقطه تفتيش اخرى لم اعرف أولا ان كانت نقطه عراقية ام اردنيه دخلنا في غرفة رأيت صورة الملك حسين على الحائط ، انهمرت عيناي بالدموع لقد أصبحت حرا أخيرا ناديت على زميل سفر كنت قد تعرفت عليه في الطريق " انظر يا صديقي انها صورة الملك حسين انها صورة الملك حسين" لأول مره ارى على الجدار صورة غير صورة صدام، ادركت اني أخيرا خرجت من السجن وأصبحت حرا.

لقد تعودنا على رؤية صورة صدام في كل مكان في الشوارع على الجدران في المحلات في الدوائر حتى عندما نفتح التلفزيون نرى افلامه وهو يزور المدن والمراقد والمساجد والبيوت ولم توجد محطات تلفزيونيه أخرى بديله.

قال لي صاحبي" ان كان لك كلام تريد قوله فاسكت حتى ندخل الأردن فلاضمان انهم لن يرجعوننا"

وصلت الى ضابط الكمرك الأردني قال لي ما سبب الزيارة؟ قلت له سياحة قال لي "مرحبا بك في الأردن" ختم جوازي ودخلت. لقد كان يوم 9 يونيو عظيما فقد ذقت طعم الحرية لأول مره بعد ثلاث وعشرين عاما من حكم استبدادي كنا لا نستطيع التنفس الا بأمر من "القائد الضرورة" او" حارس البوابة الشرقية" او "القائد الملهم" او غيرها من الأسماء التي ليس لنا سوى الفاظها اما معانيها فليست تعرف. بعد اجتياز الحدود نظرت للوراء لقد كانت فرحة لا تصدق ان اترك سجنا قضيت فيه سنين عجاف، لكني قد تركت ورائي أبا واما واختا عرفت اني لن أرى ابي فقد كبر ولن يقدر الخروج لكن اقسمت ان انقذ والدتي واختي, هذه كانت وصية والدي لي عندما ودعني.

بعد ثلاث أشهر قضيتها في الأردن وفي عمان بالذات حصلت على تأشيرة سفر الى بريطانيا.

في يوم 13 سبتمبر 1991 وصلت بريطانيا. استقبلني في المطار صديق والدي صاحب الفضل العظيم المرحوم عبد الكريم قطان الذي هو نفسه كان يوما من ضحايا صدام والبعث وقد غادر العراق قبل سنين طويله بعد ان كاد النظام ان يعدمه. درست وامتحنت واشتغلت حتى وصلت الى مرتبة طبيب استشاري في بريطانيا بعد ان حرمني نظام صدام من ابسط حقوقي في اكمال دراساتي العليا.

حينما ودعني ابي في محطة الباص التي كانت ستقلني الى عمان أدرك وقتها انه لن يراني وان هذه اخر مره يراني فيها. لم يرغب اظهار مشاعر الحزن والاسى لفراقي فانتظر حتى عاد للبيت ودخل غرفته وانهمرت عيناه بالدموع كما قالت لي والدتي بعدها. كان يقول لي "أغبط أي انسان يموت وابناؤه واقفون على راسه اما انا فسأموت دون ان يكون اولادي بجنبي وانا على فراش الموت".

لقد ذاق والدي الامرين من نظام صدام وقد اصابته الكابه التي لازمته حتى مات. كان يستيقظ هلعا في منتصف الليل وهو يسال عن مصير أولاده وما يمكن ان يكون قد حل بهم.

توفي والدي في يونيو 1994. لم يكن أي من أبنائه حوله عند وفاته. لم أتمكن أنا ولا إخوتي من حضور جنازته، لكنه كان دائما يذكر بمواقفه العظيمة وشجاعته في هذه الأحداث العصيبة.

عملاء صدام الوحشيون لم يتوقفوا أبدا. استمروا في مهاجمة منزلنا واستدعاء والدي للاستجواب دون مراعاة مقامه كجراح عالج الكثير من الناس في العراق ولم يراعوا تقدمه في السن.

رغم كل هذه الظروف الصعبة التي مررت بها لم الوث يدي ورفضت دوما كل الضغوط التي وضعها البعثيون عليّ للانتماء الى حزب البعث ولم انضم الى أي تنظيم سياسي فقد حرصت على أكون انسانا علميا وانسانيا وارفض ان أكون دمية بيد هذه الأحزاب الانتهازية في العراق على اختلاف اتجاهاتها السياسية او الدينية او المذهبية.

يقول احد الحكماء "كن في الفتنه كابن لبون لا ظهرا فيركب ولاضرعا فيحلب" وهذا بالضبط ما فعلته لم ادع مجالا لاي من الاحزاب الانتهازية ان تستخدمني للصعود على اكتافي كما فعلوا مع كثير من الشباب الذين ماتوا حتى صعد الانتهازيون على اكتافهم كما هو حال بعض السياسيين في العراق الان.

بعد سنوات عديدة من النضال من أجل حرية أبنائه الذي تسبب في معاناته من الاكتئاب، عاش والدي حتى اليوم الذي رأى فيه جميع أبنائه يطلق سراحه من السجن ويفرون او يخرجون من البلاد إلى وجهات آمنة. لسوء الحظ، لم يعش

والدي الى اليوم الذي أطيح فيه بنظام صدام وقبض على رئيس النظام ليواجه العدالة التي حرم منها خصومه.

لقد كان ابي يقول "أتمنى ان أعيش الى اليوم الذي ارى فيه هذا المجرم معلقا على حبل المشنقة" مات ابي وماتت امي بعده بحسراتها ولم يشهدا ذلك اليوم.

اقتباسات من كلمات والدي

"لا تدع هؤلاء الظالمين يهزمونك. يريدون لك الفشل ولكن عليك أن تهزمهم بالنجاح".

"ليس من موقفي أو اخلاقي أن أستسلم لهؤلاء المجرمين وأعطيهم ما يطلبونه".

"أحترم أي شخص صاحب مبدا يناضل من أجل مبدئه، حتى لو اختلفت مع معتقداته أو مبادئه ولا احترم الانتهازي الذي يستخدم المبدأ للوصول الى السلطة".

"لقد اصيبت هذه العائلة بشدة ولكن الأعراض الشديدة مرت بسلام الا اياي. فقد اصابتني الكابه الشديدة وابت ان تفارقني".

"يجب ألا يستسلم الانسان او يخذل أبدا. عليه أن يستمر في الكفاح من أجل الغايه التي خلق من أجلها".

"الانتهازيون من السياسيين يغررون بالشباب ويدفعونهم للموت حتى يصعدوا على اكتافهم"

زملاء في الجامعه أعدمهم النظام

1. ماجد صادق من الكاظمية في السنة الثانية 20سنه
2. مالك السماوي من السماوة في السنه الرابعه العمر 22 سنه
3. جعفر حسين من بغداد السنه الرابعه العمر 22
4. فاضل حسين من النجف السنه الرابعه العمر 22 سنه

5. سمير من الحله السنه الرابعه العمر 22 سنه
6. باقر من المنصور السنه الخامسه العمر 23
7. سالم مشكور السنه الرابعه 22
8. الدكتور سمير اخو حسين ومحمد من المنصور
9. الدكتور عصام اخو عامر من المنصور
10. مناضل صبري اقدم على الانتحار بعد ان سجن وفصل من الجامعة بسبب سجنه

أطباء اخرون قتلهم النظام:
نعمه محمد حسين قتل في المعركه
غسان عدنان قتل في المعركه
الدكتور رياض إبراهيم قتله صدام بمسدسه
الدكتور إسماعيل التتار اعدام
الدكتور هشام السلمان اعدام
الدكتور راجي التكريتي اعدام
الدكتور ضياء الموسوي اغتيل بالسم
الدكتوره فاطمه الخرسان اغتالها النظام في عيادتها والقائمه طويله